



في رباب أهل البيت عليهم السلام

(٣٥)

**التبرّك بالصالحين والأخيار
والمشاهد المقدّسة**



اسم الكتاب: «التبرك» بالصالحين والأخيار
والمشاهد المقدسة

المؤلف: الاستاذ صباح علي البياتي - لجنة البحوث

الموضوع: فقه

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

الطبعة الاولى: ١٤٢٢ هـ

الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ

المطبعة: ليلى

الكمية: ١٠٠٠٠

ISBN: 964-8686-75-0

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

www.ahl-ul-bait.org

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليه السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتزين لخطى أهل البيت عليه السلام الرسالية، مستوعبين إشارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حرّيم الرسالة وحقائقها التي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت عليه السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في

الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطِّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلِّ عصر.

إنَّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليه السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنَّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد جاءت محاولة المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام لتقدم لطلّاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة في باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات - التي أثّرت في عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاكمة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنت وغيرها - متجنّبة الإثارات المذمومة وحريصة على استثارة العقول المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر يتكامل فيه العقول ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ولابدّ أن نشير الى أن هذه المجموعة من البحوث قد أعدت في لجنة خاصة من مجموعة من الأفاضل . ونتقدم بالشكر الجزيل لكل هؤلاء ولأصحاب الفضل والتحقيق لمراجعة كلّ منهم جملة من هذه البحوث وابداء ملاحظاتهم القيّمة عنها.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

المعاونية الثقافية

«التبرّك» بالصالحين والأخيار والمشاهد المقدّسة

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين..

من الأمور التي يتجدد فيها البحث على مستويات مختلفة وبأساليب متعددة مسألة التبرّك بالصالحين والأخيار من الأُمة وبالأماكن والمشاهد المقدّسة عند المسلمين، لما يتجدّد حولها أو يتكرر من إشارات أو شبهات تصل في أحيان كثيرة الى درجات ساخنة حتّى تكون مدعاة أحياناً لتمزيق المجتمع المتماسك وبثّ الفرقة بين أبنائه.

فهل التبرّك مسنون، أم مبتدع؟

هل له في القرآن والسنة ذكر؟

هل له تاريخ بين المسلمين لا سيّما في القرون الأولى؟

هل له فقه وضوابط؟

كلّ ذلك سيتناوله هذا البحث بإيجاز مناسب ، وبالقدر

الكافي من التوفيق..

والله من وراء القصد ، وهو ولي التوفيق.

التبرّك

معاني البركة:

البركة في اللغة: هي من الزيادة والنماء^(١).
قال الفراء: في قوله تعالى: (رحمت الله وبركاته عليكم
أهل البيت)^(٢).
البركات: السعادة^(٣).
وقال أبو منصور الأزهري بعد إيراده هذا القول: وكذلك
قوله في التشهد: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته)، لأنّ من أسعده الله بما أسعد به النبي ﷺ فقد نال
السعادة المباركة الدائمة^(٤).
والتبريك: هو الدعاء للإنسان وغيره بالبركة.
يقال: برّكت عليه تبريكاً، أي قلت: بارك الله عليك^(٥).

(١) قالها الخليل الفراهيدي ٣٦٨:٥، مادة برك، انظر لسان العرب ١٠:٣٩٠،
الصاحح للجوهري ٤:١٠٧٥، معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١:٢٣٠،
المفردات للراغب الإصبهاني: ٤٤، النهاية لابن الأثير ١:١٢٠.

(٢) هود: ٧٣.

(٣) معاني القرآن ٢:٢٣.

(٤) تهذيب اللغة ١٠:٢٣٢.

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ١٠:٢٣١.

وقال ابن الأثير: وفي حديث أم سليم (فحنّكه وبرّك عليه): أي دعا له بالبركة^(١).

وقال الجوهرى: يقال: بارك الله لك وفيك وعليك، وباركك.

وقال تعالى: (أن بورك من في النار)^(٢).

وقال ابن منظور: بارك الله الشيء، وبارك فيه وعليه: وضع فيه البركة، وطعام بريك كأنه مبارك^(٣).

وقال الفيومي: بارك الله تعالى فيه فهو مبارك، والأصل: مبارك فيه^(٤).

والتبرّك: هو طلب البركة، وهي النماء أو السعادة. والتبرّك بالشيء: طلب البركة عن طريقه.

قال ابن منظور: تبرّكت به: أي تيمّنت به^(٥).

وقال ابن الأثير: واليُمن: البركة، وقد يُمّن فلان على قومه فهو ميمون، إذا صار مباركاً عليهم، وتيمّنت به: تبرّكت^(٦).

(١) النهاية ١: ١٢٠.

(٢) الصحاح ٤: ١٥٧٥.

(٣) لسان العرب ١٠: ٣٩٠.

(٤) المصباح المنير ١: ٤٥.

(٥) لسان العرب ١٣: ٤٠٨.

(٦) النهاية ٢: ٣٠٢.

والتبرّك في مفهومه الاصطلاحي يراد به طلب البركة عن طريق أشياء أو معانٍ مميّزها الله تعالى بمنازل ومقامات خاصة، وخصّها بالتبريك، وآثرها بعنايته على سواها. كما في مسّ يد النبي ﷺ تيمناً ببركتها، أو المسح على بعض آثاره الشريفة بعد وفاته.. وهذا هو المراد بالتبرّك، مدار البحث، وأياً كان فإن مصدره إنّما هو البركة التي خصّ الله تعالى بها أشياء أو أشخاصاً دون آخرين.

البركة في القرآن الكريم

وردت كلمة البركة بألفاظ متعددة في القرآن الكريم للتدليل على اختصاص أشخاص معيّنين وأمكنة وأزمنة معينة بنوع من البركة التي جعلها الله فيها لأسباب اقتضتها حكمة الله تعالى، فمن الأشخاص الذين شملتهم لفظة البركة في القرآن الكريم:

- ١ - النبي نوح عليه السلام ومن معه، وذلك في قوله تعالى: (اهبط بسلام ممّنّا وبركات عليك وعلى أممٍ ممّن معك...) ^(١).
- ٢ - النبي عيسى عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: (وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة...) ^(٢).

(١) هود: ٤٨.

(٢) مريم: ٣١.

٣ - النبي إبراهيم عليه السلام، وابنه النبي اسحاق عليه السلام، في قوله تعالى: (فلَمَّا جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها) ^(١).
 وقوله تعالى: (وباركنا عليه وعلى إسحاق...) ^(٢).
 ٤ - أهل البيت عليهم السلام، أو أهل بيت إبراهيم عليه السلام، على أقوال، وذلك في قوله تعالى: (رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) ^(٣).

كما وردت لفظة البركة وما في معناها في القرآن الكريم بخصوص بعض الأماكن والأراضي والبقاع المعيّنة لاختصاصها بقدسية معينة، منها:

- ١ - البيت الحرام في مكة المكرمة، لقوله تعالى: (إنَّ أَوَّلَ بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين) ^(٤).
- ٢ - الأرض بصورة عامة، حيث جعل البركة - وهو الخير - في مختلف أرجائها، لقوله تعالى: (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها...) ^(٥).

(١) النمل: ٨.

(٢) الصافات: ١١٣.

(٣) هود: ٧٣.

(٤) آل عمران: ٩٦.

(٥) فصلت: ١٠.

أي جعل فيها الخير الكثير الذي ينتفع به ما على الأرض من نبات وحيوان وإنسان في حياته أنواع الإنتفاعات^(١).
وقال الرازي: والبركة: كثرة الخير والخيرات الحاصلة من الأرض^(٢).

٣ - المسجد الأقصى وما حوله من بيت المقدس من أرض فلسطين، لقوله تعالى: (... إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله...) (٣).

وكذلك في قوله تعالى: (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها...) (٤).
وقوله تعالى: (ونجّيناه ولو طأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين...) (٥).

٤ - اليَمَن، لقوله تعالى: (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة) (٦).

(١) تفسير الميزان للطباطبائي ١٧: ٣٦٣، ٣٨٥، أوفست دار الكتب الإسلامية.

(٢) التفسير الكبير للرازي ٢٧: ٤٠٢، تفسير الآية: ﴿وجعلنا فيها رواسي...﴾.

(٣) الإسراء: ١.

(٤) الأعراف: ٧.

(٥) الأنبياء: ٧١.

(٦) سبأ: ١٨.

٥ - قوله تعالى: (وقل ربَّ أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين)^(١).

كما وردت معاني البركة في القرآن الكريم صفة للكتاب العزيز، وذلك في قوله تعالى:

١ - (وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه)^(٢).

٢ - (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلَّكم ترحمون)^(٣).

٣ - (وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون...)^(٤).

٤ - (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدَّبِّروا آياته...)^(٥).

ووردت معاني البركة للدلالة على بعض مخلوقات الله من النباتات وغيرها كما في قوله تعالى:

(كأنَّها كوكب دُرِّيُّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة)^(٦).

(فلمَّا أتاهَا نُودِي من شاطئ الوادِ الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة...)^(٧).

(١) المؤمنون: ٢٩.

(٢) الأنعام: ٩٢.

(٣) الأنعام: ١٥٥.

(٤) الأنبياء: ٥٠.

(٥) سورة ص: ٢٩.

(٦) النور: ٣٥.

(٧) القصص: ٣٠.

(ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنّاتٍ وحبّ
الحصيد)^(١).

كما وخصّ الله سبحانه وتعالى بعض الأزمنة بالبركة، كما
في قوله تعالى:

(إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين)^(٢).

فهذه بعض معاني البركة واستعمالاتها في القرآن
الكريم، وأمّا السنّة النبوية المطهّرة، فالأحاديث التي
تتضمن البركة ومعانيها كثيرة جداً سوف يأتي بعضها في
طيات المباحث القادمة للدلالة على أن البركة والتبرّك أمر
ثابت في الشرع.

ولعلّ من أشهرها ما ثبت عنه ﷺ في صورة الصلاة
عليه: «اللهم صل على محمّد وآل محمّد كما صليت على إبراهيم
وآل إبراهيم، وبارك على محمّد وآل محمّد كما باركت على
إبراهيم وآل إبراهيم .. إنّك حميد مجيد».

التبرّك في التاريخ

هل للتبرّك بمفهومه الاصطلاحي واقع تاريخي بين
الأمم المتشرّعة، بحيث نكتشف في سيرهم وأخبارهم هذا
النوع من السلوك، يتعارفونه ويتداولونه على أنه سلوك
مشروع؟

(١) سورة ق: ٩.

(٢) الدخان: ٣.

نتابع الإجابة عن هذا التساؤل في مرحلتين رئيسيتين، تختصّ الأولى بتاريخ الأمم السالفة، وتتناول الثانية، وهي أكثر تفصيلاً، التبرّك في سلوك المسلمين وفي معارفهم منذ عهد الرسول الأعظم ﷺ وتباعاً في العهود القريية منه.

١ - التبرّك عند الأمم السالفة

إنّ ظاهرة التبرّك بآثار الأنبياء معروفة حتّى عند الأمم التي سبقت الإسلام، والتي تتضمن التبرّك بثياب أولئك الأنبياء وبقاياهم، فمن أمثلة التبرّك عند الأمم السابقة. تبرّك النبي يعقوب عليه السلام بقميص ابنه النبي يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿إذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً﴾^(١).

وقد امتثل إخوة يوسف لأمره، فجاءوا بقميصه وألقوه على وجه أبيه الذي كان قد فقد بصره حزناً على فراق ولده يوسف، فجعل الله تعالى قميص يوسف سبباً لارتداد بصر أبيه يعقوب عليه السلام، فكان ذلك من قدرة الله تعالى وبركة ذلك القميص، ومعلوم أنّ الله تعالى يقدر أن يرد بصر يعقوب عليه السلام دون حاجة إلى إلقاء ذلك القميص على وجهه، ولكن الله تعالى حكمة في جعل بعض الأشياء المباركة سبباً لتحقيق

(١) يوسف: ٩٣.

الغاية، ولا شك أن ذلك مرده الى أن يجعل ذلك سنّة يقتدي بها الأنام فيعرفوا أن هنالك أشياء وأمكنة وأزمنة وأشخاصاً لها مقامات عند الله تعالى، فجعل فيها بركة تتيح لها شفاء المرضى أو استجابة الدعاء أو الشفاعة لغفران الذنوب، ونحو ذلك.

قال الزمخشري: قيل، هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف، وكان من الجنة، أمر جبرئيل عليه السلام أن يرسل إليه فإن فيه ريح الجنة، لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفي^(١).

ومن أمثلته أيضاً: تبرّك بني إسرائيل بالتابوت الذي فيه آثار آل موسى وآل هارون، وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله حكايةً عن نبي بني إسرائيل الذي بشرهم بطالوت ملكاً: (إنّ آية ملكه يأتىكم التابوت فيه سكينّة من ربكم وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة)^(٢) وكان هو التابوت الذي أنزله الله على موسى فوضعت فيه أمه وألقته في اليمّ، وكان في بني إسرائيل معظماً يتبركون به، فلما حضرت موسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آيات النبوة وأودعه يوشعاً وصيّته، فلم يزل التابوت بينهم حتّى استخفوا

(١) الكشف ٢: ٥٠٣.

(٢) البقرة: ٢٤٨.

به وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات، فلم يزل بنو إسرائيل في عزّ وترف مادام التابوت عندهم، فلمّا عملوا بالمعاصي واستخفوا بالتابوت رفعه الله عنهم، فلمّا سألوا نبيّهم، بعث الله طالوت عليهم ملكاً يقاتل معهم فردّ الله عليهم التابوت.

قال الزمخشري: التابوت صندوق التوراة، وكان موسى إذا قاتل قدّمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفترون... وقوله: (وبقية ممّا ترك آل موسى وآل هرون) هي رفاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة^(١).

فوجد بني إسرائيل بأمر من نبيّهم يحتفظون بما ترك موسى وهارون، وتسكن إليه نفوسهم لما أخبرهم به من البركة التي اختصّها الله به لكونها من آثار أنبيائهم، حتّى إذا استخفوا بهذه الآثار المباركة عاقبهم الله وحرّمهم من بركتها، ممّا يدل على قدسية هذه الآثار وحلول البركة فيها بإذن الله.

٢ - سيرة المسلمين في التبرّك

أولاً: سيرة الصحابة في التبرّك بالنبي ﷺ في حياته قال محمد طاهر المكي: فلا جرم أن كان التبرّك بها - آثار الرسول - سنّة الصحابة رضي الله عنهم، واقتفى آثارهم في ذلك من نهج نهجهم من التابعين وصلحاء المؤمنين، وقد وقع

(١) الكشف ١: ٢٩٣.

التبرّك ببعض آثاره ﷺ في عهده وأقرّه ولم ينكر عليه،
فدلّ ذلك دلالة قاطعة على مشروعيته، ولو لم يكن مشروعاً
لنهي عنه ﷺ وحذر منه، وكما تدلّ الأخبار الصحيحة
وإجماع الصحابة على مشروعيته، تدلّ على قوة إيمان
الصحابة وشدة محبتهم وموالاتهم ومتابعتهم للرسول
الأعظم ﷺ، على حد قول الشاعر:

أمرُّ على الديار ديار سلمى

أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبّ الديار شغفن قلبي

ولكن حب من سكن الديارا^(١)

فكان الصحابة يتبرّكون بالنبي ﷺ، بمس جسده
الشريف وتقبيل يده، وشرب فضل إنائه، وبماء وضوئه،
ونخامته، وشعره وغير ذلك في حياته، ويأتون بأولادهم حال
ولادتهم لكيما يحتكهم النبي ﷺ ويتبرّك عليهم ويدعو
لهم، ومن ذلك ما أخرج مسلم في صحيحه من أن رسول
الله ﷺ كان يؤتى إليه بالصبيان فيبرّك عليهم ويحتكهم^(٢).

(١) تبرّك الصحابة بآثار الرسول: ٧.

(٢) صحيح مسلم ١: ١٦٤. باب حكم بول الطفل الرضيع، و ٦: ١٧٦، باب
استحباب تحنيك المولود.

وقال ابن حجر: كل مولود في حياة النبي ﷺ يحكم بأنّه رآه، وذلك لتوفر دواعي إحضار الأنصار أولادهم عند النبي ﷺ للتحنيك والتبرّك، حتّى قيل: لما افتتحت مكة جعل أهل مكة يأتون الى النبي بصبيانهم ليمسح على رؤوسهم ويدعو لهم بالبركة^(١).

وقد وردت بذلك أخبار كثيرة تقتطف منها بعضها:

١ - عن أمّ قيس أنّها أتت بابت لها صغير لم يأكل الطعام الى رسول الله ﷺ فأجلسه في حجره فبال على ثوبه، فدعا بماء فنضحه ولم يغسله^(٢).

قال ابن حجر: وفي هذا الحديث من الفوائد، النذب الى حسن المعاشرة، والتواضع، والرفق بالصغار، وتحنيك المولود والتبرّك بأهل الفضل، وحمل الأطفال حال الولادة وبعدها^(٣).

(١) الإصابة ٣: ٦٣٨، حرف الواو القسم الأوّل، باب . و . ك ، ترجمة وليد بن عقبة، رقم ٩١٤٧.

(٢) صحيح البخاري ١: ٦٢ كتاب الغسل، سنن النسائي ١: ٩٣، باب بول الصبي الذي لم يأكل الطعام، سنن الترمذي ١: ١٠٤، سنن أبي داود ١: ٩٣ باب بول الصبي يصيب الثوب، سنن ابن ماجه ١: ١٧٤.

(٣) فتح الباري ١: ٣٢٦، كتاب الوضوء باب ٥٩ باب بول الصبيان، ح ٢٢٣.

٢ - عن عائشة: كان رسول الله ﷺ يُؤتَى بالصبيان فيحتكهم ويبرّك عليهم^(١).

٣ - عن عبدالرحمن بن عوف قال: ما كان يولد لأحدٍ مولود إلا أتى به النبي فدعا له^(٢).

٤ - عن محمّد بن عبدالرحمن مولى أبي طلحة، عن ظئر محمد بن طلحة قال: لما ولد محمّد بن طلحة أتيت به النبي ﷺ ليحتكه ويدعو له، وكذلك كان يفعل بالصبيان^(٣).

لقد كانت سيرة الصحابة الكرام هي التبرّك بالنبي ﷺ وآثاره على الدوام في حياته وبعد مماته، والأخبار في ذلك تضيق عن الحصر، إلا أننا سنذكر بعض الأمثلة القليلة عن تبرّك الصحابة به وآثاره ﷺ، للدلالة على مشروعية التبرّك.

تبرّكهم بجسده الشريف:

روي أنّه ﷺ جاء إلى السوق فوجد زهيراً قائماً يبيع متاعاً، فجاء من قبل ظهره وضمه بيده إلى صدره، فأحس

(١) مسند أحمد ٣: ٣٠٣، ح ٢٥٢٤٣، الإصابة ٥: ١، عن مسلم، خطبة الكتاب، القسم الثاني.

(٢) المستدرک ٤: ٤٧٩، الإصابة ٥: ١، خطبة الكتاب، القسم الثاني.

(٣) الإصابة ٥: ١، خطبة الكتاب، القسم الثاني.

زهير بأنه رسول الله ﷺ، قال: فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء حصول البركة^(١).

تبرَّكهم بشعره ﷺ :

١ - عن أنس قال: رأيت رسول الله ﷺ والحلَّاق يحلقه وقد أطاف به أصحابه ما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل^(٢).

٢ - عن عبد الله بن زيد قال:.... فحلق رسول الله ﷺ رأسه في ثوبه وأعطاه فقسم منه على رجال، وقلَّم أظفاره فأعطاه صاحبه، قال: فإنه لعندنا مخضوب بالحناء والكتم، يعني: شعره^(٣).

٣ - لما نحر رسول الله ﷺ الهدي دعا الحلَّاق وحضر المسلمون يطلبون من شعر رسول الله ﷺ فأعطى الحلَّاق شق رأسه الأيمن ثم أعطاه أبا طلحة الأنصاري، وكلمه خالد

(١) سيرة دحلان ٢: ٢٦٧، البداية والنهاية ٦: ٤٧ وصححه وقال: إن رجاله ثقات، مسند أحمد ٣: ٩٣٨، حديث ١٢٢٣٧. تبرَّكهم بشعره ﷺ.

(٢) صحيح مسلم: بشرح النووي ١٥: ٨٣، إرواء الغليل ٤: ٢٨٨، مسند أحمد ٣: ٥٩١، مسند ابن مالك، ح ١٩٥٥، السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٦٨، السيرة الحلبية ٣: ٣٠٣، البداية والنهاية ٥: ١٨٩.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ١: ٢٥، باب في شعر النبي، مسند أحمد ٤: ٦٣٠، ح ١٦٠٣٩، مجمع الزوائد ٤: ١٩.

بن الوليد في ناصيته حين خلق فدفَعها إليه فكان يجعلها في مقدمة قلنسوته، فلا يلقى جمعاً إلا فضَّه^(١).

٤ - عن أبي بكر أنه كان يقول: ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية، ولكن الناس يؤمِّنُ قصر رأيهم عمَّا كان بين محمد وربِّه... لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائماً عند المنحر يقرب إلى رسول الله ﷺ بدنة ورسول الله ﷺ ينحرها بيده، ودعا الحَلَّاق فحلق رأسه، وأنظر إلى سهيل يلتقط من شعره وأراه يضعه على عينيه، وأذكر إياه، أن يقرَّ يوم الحديبية بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم^(٢).

تبرَّكهم بعرقه ﷺ :

عن أنس بن مالك، قال: إنَّ أمَّ سليم كانت تبسط للنبي ﷺ نطعاً فيقبل عندها على ذلك النطع. قال: فإذا نام النبي ﷺ أخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة ثم جمعته في سَكِّ^(٣).

(١) مغازي الواقدي ٣: ١١٠٨.

(٢) كنز العمال ١٠: ٤٧٢، ح ٣٠١٣٦.

(٣) صحيح البخاري ٧: ١٤٠، كتاب الاستئذان.

قال ابن حجر في شرحه للحديث:

وفي ذكر الشعر غرابة في هذه القصة، وقد حمّله بعضهم على ما ينتشر من شعره ﷺ عند الترجل، ثم رأيت في رواية محمد بن سعد ما يزيل اللبس، فإنه أخرج بسند صحيح عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ لما حلق شعره بمنى أخذ أبو طلحة شعرة فأتى بها أمّ سليم فجعلته في سكّها. قالت أمّ سليم: وكان يجيء فيقيل عندي على نطعي فجعلت أسلت العرق^(١).

تبرّكهم بماء وضوئه ﷺ:

١ - عن أبي جحيفة، قال: أتيت النبي ﷺ وهو في قبة حمراء من آدم ورأيت بلالاً أخذ وضوء النبي ﷺ والناس يتبادرون الوضوء فمن أصاب شيئاً تمسح به ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه.

وفي لفظ: خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة فأتي بوضوء، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه ويتمسحون به^(٢).

(١) فتح الباري ٥٩: ١١، الطبقات الكبرى ٨: ٣١٣.

(٢) صحيح البخاري ٥٥: ١، كتاب الوضوء باب استعمال فضل وضوء

٢- عن ابن شهاب، قال: أخبرني محمود بن الربيع، قال: وهو الذي مع رسول الله ﷺ في وجهه وهو غلام من بئرهم. وقال عروة عن المسور وغيره - يصدّق كل واحد منهما صاحبه -: وإذا توضأ النبي ﷺ كادوا يقتتلون على وضوئه^(١).

قال ابن حجر في شرحه: وفعله النبي ﷺ مع محمود إما مداعبة أو ليبارك عليه بها كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة^(٢).

كما أخرج المحدثون والحفاظ قصة مجيء عروة بن مسعود الثقفي إلى قريش قبل صلح الحديبية، حيث أدهشه عمل الصحابة مع النبي ﷺ، فقال - وهو يحكي ما شاهده من ذلك -: لا يتوضأ وضوءاً إلا ابتدروه، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه - وفي رواية -

→ الناس، مسند أحمد ٥: ٣٩٨، حديث ١٨٢٦٩، السنن الكبرى للبيهقي

١: ٣٩٥، باب الالتواء في حيّ على الصلاة، دلائل النبوة للبيهقي

١: ١٨٣، صحيح مسلم ١: ٣٦٠، سنن النسائي ١: ٨٧.

(١) صحيح البخاري ١: ٥٥، كتاب الوضوء باب استعمال فضل وضوء

الناس، مسند أحمد ٦: ٥٩٤، حديث ٢٣١٠٩، سنن ابن ماجه ١: ٢٤٦.

(٢) فتح الباري ١: ١٥٧، باب متى يصح سماع الصغير.

فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه^(١).

٣- عن سعد قال: سمعت عدّة من أصحاب النبي ﷺ فيهم أبو أسيد وأبو حميد وأبو سهل ابن سعد يقولون: أتى رسول الله ﷺ بئر بضاعة فتوضأ في الدلو وردّه في البئر ومج في الدلو مرة أخرى وبصق فيها وشرب من مائها، وكان إذا مرض المريض في عهده يقول: «اغسلوه من ماء بئر بضاعة» فيغسل، فكأنّما حل من عقل!^(٢)

٤- عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما يقول: جاء رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ وصبّ عليّ من فضل وضوئه فعقلت^(٣).

(١) مسند أحمد ٥: ٤٢٣، حديث طويل ١٨٤٣١، السنن الكبرى للسيهقي ٢١٩: ٩ باب المهادنة على النظر للمسلمين، البخاري ١: ٦٦، كتاب الوضوء، ٣: ١٨٠، كتاب الوصايا، السيرة الحلبية ٣: ١٨، سيرة ابن هشام ٣: ٣٢٨، المغازي للواقدي ٢: ٥٩٨، تاريخ الخميس ٢: ١٩.
(٢) الطبقات الكبرى ١ - ١٨٤: ٢، سيرة ابن دحلان ٢: ٢٢٥.
(٣) صحيح البخاري ١: ٦٠، ٧: ١٥٠، ٨: ١٨٥، ٩: ١٢٤، صحيح البخاري ٣: ١٢٣٥.

٥ - وعنه أيضاً قال: إنّ النبي ﷺ توضأ في طست فأخذته فصببته في بئر لنا^(١).

٦ - وعن أبي موسى قال: دعا النبي ﷺ بقدر فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه ومجّ فيه ثم قال لهما: «اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما»^(٢).

قال ابن حجر: والغرض بذلك - يعني المَجّ - إيجاد البركة فيه^(٣).

٧ - عن أم هانئ: أنّ النبي ﷺ دخل عليها يوم الفتح فأتته بشراب فشرب منه، ثم فضلت منه فضلة فناولها فشربته ثم قالت: يا رسول الله! لقد فعلت شيئاً ما أدري يوافقك أم لا، فقال: «وما ذاك يا أمّ هانئ؟» قالت: كنت صائمة فكرهت أن أرد فضلك فشربته.

وفي رواية: لقد شربت وأنا صائمة. قال: «فما حملك على ذلك؟!» قالت: من أجل سؤرك لم أكن لأدعه لشيء، لم أكن أقدر عليه، فلما قدرت عليه شربته^(٤).

(١) كنز العمال ١٢: ٤٢٢، ح ٣٥٤٧٣.

(٢) صحيح البخاري ١: ٥٥، كتاب الوضوء، باب استعمال فضل وضوء الناس.

(٣) فتح الباري ١: ٢٣٦، كتاب الوضوء، باب استعمال فضل وضوء الناس، ٣٧: ٨ باب غزوة الطائف.

(٤) مسند أحمد ٧: ٥٧٥، ح ٢٦٨٣٨، الطبقات الكبرى ٨: ١٠٩.

هذه أخبار أخرجها الأئمة والحفاظ للتدليل على سيرة الصحابة الكرام في التبرك بالنبي ﷺ في حياته، وقد استمرت هذه السيرة عندهم بعد وفاته ﷺ حيث كان الصحابة يتبركون بآثاره فيشربون في الآبار التي شرب منها أو مج فيها، ويتبركون ببقايا شعره ومنبره وخاتمه وعصاه وقدره وقبره الشريف وملابسه ونعاله وكل ما خلفه النبي ﷺ من بعده، وقد تابعهم التابعون على ذلك واستمرت سيرة المسلمين في التبرك بآثار النبي ﷺ إلى يومنا هذا، والأخبار في ذلك كثيرة جداً، نكتفي بذكر بعضها: ثانياً: تبرك الصحابة والتابعين بآثار النبي ﷺ بعد وفاته: أفرد البخاري باباً في: (ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدره وخاتمه وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته، ومن شعره ونعله وآنيته مما تبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته)^(١).

١- عن عبدالله بن موهب: قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء - وقبض إسرائيل ثلاث أصابع - من قُصَّة فيه شعر من شعر النبي ﷺ، وكان إذا أصاب الإنسان عين أو

(١) صحيح البخاري ٤: ٤٦، باب ما ذكر من ورع النبي ﷺ وعصاه

وسبقه...

شيء، بعث إليها مَخْضَبَهُ، فاطَّلَعْتُ في الحجل فرأيت شعرات حُمْراً^(١).

٢- لما حضر معاوية الموت أوصى بأن يدفن في قميص رسول الله وإزاره وردائه وشيء من شعره^(٢).

٣- حينما حضرت عمر بن العزيز الوفاة، دعا بشعر من شعر النبي ﷺ وأظفار من أظفاره وقال: إذا مت فخذوا الشعر والأظفار ثم اجعلوه في كفني^(٣).

٤- جعل في حنوط أنس بن مالك صرة مسك وشعر من شعر رسول الله ﷺ^(٤).

٥- أعطى بعض ولد فضل بن الربيع أبا عبدالله (يعني أحمد بن حنبل) وهو في الحبس ثلاث شعرات فقال: هذا من شعر النبي ﷺ، فأوصى أبو عبدالله عند موته أن يجعل على كل عين شعرة، وشعرة على لسانه^(٥).

(١) صحيح البخاري ٢٠٧:٧.

(٢) السيرة الحلبية ١٠٩:٣، الإصابة ٤٠٠:٣، تاريخ دمشق ٢٢٩:٥٩.

(٣) الطبقات ٤٠٦:٥، ترجمة عمر بن عبدالعزيز.

(٤) الطبقات ٢٥:٧ ترجمة أنس بن مالك.

(٥) صفة الصفوة ٣٥٧:٢.

٦- عن ابن سيرين قال: قلت لعبيدة: عندنا من شعر النبي ﷺ، أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس. قال: لئن تكون عندي شعرة منه أحب إليّ من الدنيا وما فيها^(١).

٧- ذكر الواقدي أن عائشة أم المؤمنين سئلت: من أين هذا الشعر الذي عندكن؟ قالت: إن رسول الله ﷺ لما خلق رأسه في حجته فزّق شعره في الناس فأصابنا ما أصاب الناس^(٢).

التبّرك بالشرب من قدحه ﷺ :

١- عن سهل بن سعد في حديث، قال: فأقبل النبي ﷺ يومئذٍ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة، هو وأصحابه ثم قال: «اسقنا يا سهل»، فأخرجت لهم هذا القدح فأسقيتهم فيه (قال الراوي): فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه، قال: ثم استوهبه عمر بن العزيز بعد ذلك فوهب له^(٣).

(١) صحيح البخاري ٥١:١، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل شعر الإنسان.

(٢) المغازي ١١٠٩:٣.

(٣) صحيح البخاري ٣٥٢:٦، كتاب الاشرية، صحيح مسلم ١٠٣:٦، باب

٢- عن أنس: إن قدح النبي ﷺ انكسر، فاتخذ مكان الشعب سلسلة من فضة. قال عاصم: رأيت القدح وشربت فيه^(١).

٣- قال أبو بردة: قال لي عبد الله بن سلام: ألا أسقيك في قدح شرب النبي ﷺ فيه^(٢).

٤- عن صفية بنت بحرة، قالت: استوهب عمي فراس من النبي ﷺ قصعة رآه يأكل فيها فأعطاه إياها. قال وكان عمر إذا جاءنا، قال: أخرجوا لي قصعة رسول الله ﷺ، فنخرجها إليه فيملأها من ماء زمزم فيشرب منها وينضح على وجهه^(٣).

تبرّكهم بمواضع يده وفمه ﷺ :

١- في قصة نزول النبي ﷺ في بيت أبي أيوب الأنصاري عندما قدم مهاجراً إلى المدينة، قال أبو أيوب: وكنا

→ اباحة النبيذ لم يشتر ولم يصير مسكراً.

(١) صحيح البخاري ٤: ٤٧، باب بدأ الخلق.

(٢) صحيح البخاري ٦: ٣٥٢، كتاب الأشربة.

(٣) الإصاية ٣: ٢٠٢، حرف الفاء القسم الأول، ترجمة فراس، رقم ٦٩٧١.

أسد الغابة ٤: ٣٥٢، حرف الفاء، فراس عم صفية، رقم ٤٢٠٢، كنز العمال

١٤: ٢٦٤.

نضع له العشاء ثم نبعث، فإذا ردَّ علينا فضله تيممت أنا وأمُّ أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتَّى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلاً وثوماً، فردَّه رسول الله ﷺ ولم أرَ ليده فيه أثراً، فجئته فرعاً، فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمِّي رددت عشاءك ولم أرَ فيه موضع يدك؟ فقال: «إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي فأما أنتم فكلوه...»^(١).

٢- عن أنس: أنَّ النبي ﷺ دخل على أمِّ سليم بيتها وفي البيت قربة معلقة فيها ماء، فتناولها فشرب من فيها وهو قائم، فأخذتها أمِّ سليم فقطعت فمها فأمسكته عندها^(٢).

٣- عن أمِّ عامر - واسمها فكيهة أو أسماء - بنت يزيد بن السكن قالت: رأيت رسول الله ﷺ صلَّى في مسجدنا المغرب فجئت منزلي فجئته بلحم وأرغفة، فقلت: تعشَّ. فقال لأصحابه: «كلوا». فأكل هو وأصحابه الذين جاءوا... قالت: وشرب عندي في شجب فأخذته فدهنته وطويته، وكنا نسقي فيه المرضى ونشرب منه في الحين رجاء البركة^(٣).

(١) البداية والنهاية ٣: ٢٠١، سيرة ابن هشام ٢: ١٤٤، دلائل النبوة للبيهقي ٥١٠: ٢.

(٢) مسند أحمد ٧: ٥٢٠، ح ٢٦٥٧٤، الطبقات ٨: ٣١٣.

(٣) الإصابة ٤: ٤٧١، حرف العين، القسم الأوَّل، ترجمة أمِّ عامر، رقم ١٣٧٤، الطبقات ٨: ٢٣٤.

٤ - عن عبدالرحمن بن أبي عمرة عن جدته كلثم قالت:
دخل علينا رسول الله ﷺ وعندنا قربة معلقة فشرب منها،
فقطعت فم القربة ورفعته، نبتغي البركة موضع في
رسول الله ﷺ (١).

تبرّكهم بعصاه وملابسه وخاتمه ﷺ :

١ - عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك: أنّه
كانت عنده عصية لرسول الله ﷺ فمات فدفنت معه بين
جنبه وقميصه (٢).

٢ - عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من
ذهب أو فضة وجعل فصّه مما يلي كفه ونقش فيه: «محمد
رسول الله» فاتخذ الناس مثله، فلمّا رأهم قد اتخذوها رمى به،
وقال: «لا ألبسه أبداً» ثم اتخذ خاتماً من فضة فاتخذ الناس
خواتيم الفضة. قال ابن عمر: فلبس الخاتم بعد النبي ﷺ أبو
بكر ثم عمر ثم عثمان حتى وقع من عثمان في بئر أريس (٣).

(١) أسد الغابة ٥: ٥٣٩، حرف الكاف، ترجمة كلثم، رقم ٧٢٤٣، سنن ابن
ماجة ٢: ١١٣٢.

(٢) البداية والنهاية ٦: ٦.

(٣) صحيح البخاري ٧: ٥٥، كتاب اللباس، باب خاتم الفضة، الاستيعاب

٣- عن سهل بن سعد، قال: جاءت امرأة ببردة...، قالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها رسول الله ﷺ محتاجاً إليها، فخرج إلينا وإنها لإزاره، فجلسها رجل من القوم، فقال: يا رسول الله اكسينيها؟ قال: «نعم»، فجلس ما شاء الله في المجلس، ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إياه وقد عرفت أنه لا يرد سائلاً، فقال الرجل: والله ما سألتها إلا لتكون كفني يوم أموت، قال سهل فكانت كفنه^(١).

قال ابن حجر: وفي رواية أبي غسان، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ... وقال في شرحه:

ما يستفاد من الحديث: وفيه التبرك بآثار الصالحين. وقال: أفاد المحب الطبري في الأحكام له: إنه عبد الرحمن بن عوف، وعزاه للطبراني. ولم أره في المعجم

→ بهامش الإصابة ٢: ٩٤، ترجمة عمرو بن سعيد بن العاص، صحيح مسلم ٣: ١٦٥٦، النسائي ٨: ١٩٦، أبي داود ٤: ٨٨، مسند أحمد ٢: ٩٦، ح ٤٧٢٠.

(١) صحيح البخاري ٧: ١٨٩، ٢: ٩٨، ٣: ٨٠، ٨: ١٦، مسند أحمد ٦: ٤٥٦، ح ٢٢٣١٨، سنن ابن ماجه ٢: ١١٧٧.

الكبير، لا في مسند سهل ولا عبدالرحمن، ونقله شيخنا ابن الملقن عن المحب في شرح العمدة، وكذا قال لنا شيخنا الحافظ أبو الحسن الهيثمي أنَّه وقف عليه لكن لم يستحضر مكانه، ووقع لشيخنا ابن الملقن في شرح التنبيه أنه سهل بن سعد وهو غلط، ثم نقل عن الطبراني أنَّه سعد بن أبي وقاص، وعنه أيضاً في رواية أنَّه أعرابي^(١).

٤ - أراد معاوية بن أبي سفيان أن يشتري من كعب بن زهير بركة رسول الله ﷺ، التي ألقاها عليه بعد إسلامه بعشرة آلاف درهم، فأبى كعب وقال: ما كنت لأؤثر بثوب رسول الله أحداً. فلما مات بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألف درهم، فأخذها منهم. هي البردة التي كانت عند السلاطين، وهي التي يلبسها الخلفاء في الأعياد^(٢).

٥ - عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها، قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته، فقال: «اغسلنها ثلاثة أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتهن ذلك بماء وسدر، واجعلن في

(١) فتح الباري ٣: ١٤٤، ٢٨ باب من استعد الكفن في زمن النبي ﷺ فلم ينكر عليه، ذيل الحديث ١٢٧٧.

(٢) تبرُّك الصحابة: ١٧، تاريخ الإسلام للذهبي ٢: ٤١٢، السيرة الحلبية ٣: ٢٤٢، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٩.

الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور فإذا فرغتن فأذنيني»، فلما فرغنا آذناه فأعطانا حقوة، فقال: «اشعرنها إياها» تعني إزاره^(١).

٦- عن محمد بن جابر، قال: سمعت أبي يذكر عن جدي أنه أول وفد وفد على رسول الله ﷺ من بني حنيفة، فوجده يغسل رأسه، فقال: «أقعد يا أخا أهل اليمامة فاغسل رأسك» فغسلت رأسي بفضلة غسل رسول الله ﷺ... فقلت: يا رسول الله أعطني قطعة من قميصك استأنس بها، فأعطاني. قال محمد بن جابر: فحدثني أبي أنها كانت عندنا نغسلها للمريض يستشفى بها^(٢).

٧- عن عيسى بن طهمان، قال: أمر أنس وأنا عنده فأخرج نعلًا لهما قبلان، فسمعت ثابت البناني يقول: هذه نعل النبي ﷺ^(٣).

(١) صحيح البخاري ٧٤:٢، كتاب الجنائز، باب يجعل الكافور في آخره، صحيح مسلم ٦٤٧:٢، مسند أحمد ٥٥٦:٧، ح ٢٦٧٥٢، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٥٤٧، باب ٣٤، ح ٦٦٣٤، ٦: ٤، باب ٧٢، ح ٦٧٦٤، سنن النسائي ٤: ٣١.

(٢) الإصابة ١٠٢:٢، حرف السين القسم الأول، ترجمة سياويس طلق اليماني، رقم ٣٦٢٦.

(٣) صحيح البخاري ١٩٩:٧، ١٠١:٤، البداية والنهاية ٦: ٦، الطبقات لابن سعد ١: ٤٧٨.

التبرك بمنبره ﷺ:

لقد أوضح النبي ﷺ لأُمَّته أن لمنبره قدسية خاصة لا ينبغي التجاوز عليها، لذا فقد سنَّ ﷺ تحريم اليمين على منبره كذباً، فقال: «من حلف على منبري كاذباً ولو على سواك أراك فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

وعن جابر بن عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرئ من المسلمين حلف عند منبري على يمين كاذبة يستحق بها حق مسلم، أدخله الله النار وإن كان على سواك أخضر»^(٢). وقد أدرك الصحابة ذلك، فنجد زيد بن ثابت يأبى أن يحلف على المنبر عندما قضى عليه مروان بذلك، وقال: أحلف له مكاني، فجعل زيد يحلف وأبى أن يحلف على المنبر، فجعل مروان يعجب منه^(٣).

لذا نجد الصحابة الكرام يعرفون لهذا المنبر قدسيته وبركته، فنجدهم يقصدونه ويمسحون أيديهم برمانته وبمقعد رسول الله ﷺ منه، ويضعونها على وجوههم تبركاً بها. فعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد القاري: أنه نظر إلى

(١) مسند أحمد ٣: ٣٥٧، ح ١٤٦٠٦، فتح الباري ٥: ٢١٠، الطبقات ١٠: ١.

(٢) كنز العمال ١٦: ٦٩٧، ح ٤٦٣٨٩، وفيه عن أبي هريرة أيضاً.

(٣) صحيح البخاري ٣: ٢٣٤.

ابن عمر وضع يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه^(١).

وعن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال: رأيت ناساً من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجد أخذوا برمانة المنبر الصلعاء التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون^(٢). تبرّكهم بقبره الشريف ﷺ :

لقد كان دأب المسلمين منذ وفاة النبي ﷺ على مرّ العصور وإلى يومنا هذا، هو التبرّك بقبر النبي ﷺ والاستسقاء به والاستشفاء بتربته، على ذلك تصافق المسلمون بكافة طوائفهم جيلاً بعد جيل، ولم يشذ عن ذلك إلا دعاة السلفية، وفي طليعتهم ابن تيمية الحراني الذي ادّعى بأن السلف الصالح لم يعرفوا ذلك ولم يقرّوه!

إلا أن عمل المسلمين - وفيهم كبار الصحابة والتابعين وعدد لا يستهان به من علمائهم الأفاضل ومحدثيهم - ينفي تلك الادعاءات ويبطلها، فمن الشواهد على دأب المسلمين -

(١) الطبقات ١: ٢٥٤، ذكر منبر الرسول، النقات لابن حبان: ٩.

(٢) الطبقات الكبرى ١: ٢٥٤، ذكر منبر الرسول.

وفي مقدمتهم الصحابة الكرام - على التبرّك بقبر النبي ﷺ :
 ١ - عن داود بن صالح، قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فقال: أتدري ما تصنع! فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب! فقال: نعم، جئت رسول الله ﷺ ولم آتِ الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله»^(١).

٢ - عن علي بن أبي طالب قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله، قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه فوعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ...الآية﴾. وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر «قد غفر الله لك»^(٢).

٣ - أخرج الحافظ ابن عساكر في التحفة من طريق طاهر بن يحيى الحسيني قال: حدثني أبي عن جدي عن جعفر بن

(١) المعجم الأوسط ١: ٩٤، الجامع الصغير للسيوطي: ٧٢٨، كنز العمال ٨٨: ٦، ح ١٤٩٦٧، والذهبي في تلخيصه مجمع الزوائد ٤: ٢٢، وفاء الوفا للسمهودي ٢: ٤١٠، شفاء الأسقام للسبكي: ١٥٢.

(٢) الروض الفائق: ٣٨٠، المواهب اللدنية للقسطلاني ٤: ٥٨٣، مشارق الأنوار ١: ١٢١، وفاء الوفا ٤: ١٣٩٩، كنز العمال ٢: ٣٨٦، ح ٤٣٢٢ و ٤: ٢٥٩، ح ١٠٤٢٢.

محمد عن أبيه عن علي عليه السلام عنه قال: لما رُمس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاءت فاطمة عليها السلام فوقفت على قبره صلى الله عليه وآله وسلم وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعتها على عينيها، وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شمَّ تربة أحمد
أن لا يشم مدى الزمان غواليها
صُبَّت عليَّ مصائب لو أنها
صُبَّت على الأيام عُدن ليالها^(١)

٤- ذكر الخطيب ابن جماعة أن عبد الله بن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، وأن بلالاً عليه السلام وضع خديه عليه أيضاً. ورأيت في كتاب السؤالات لعبد الله ابن الإمام أحمد - وذكر ما تقدّم عن ابن جماعة - ثم قال: ولا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم، والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته، فأناس حين يرونه لا

(١) رواه كل من: ابن الجوزي في وفاء الوفا في فضائل المصطفى: ٨١٩ ح ١٥٣٨، وابن سيد الناس في السيرة النبوية ٤: ٣٢٢، والقسطلاني في المواهب اللدنية مختصراً ٤: ٥٦٣، والقاري في شرح الشمائيل ٢: ٢١٠، والشبراوي في الاتحاف: ٣٣٠، والسمهودي في وفاء الوفا ٤: ١٤٠٥، سير أعلام النبلاء ٢: ١٣٤ وغيرهم.

يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه، وأناس فيهم أناة يتأخرون، والكل محل خير^(١).

٥ - عن أبي الدرداء قال: إن بلالاً مؤذن النبي ﷺ رأى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول: «ما هذه الجفوة يا بلال! أما أن لك أن تزورني يا بلال؟!» فانتبه حزينا خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين عليهما فجعل يضمهما ويقبلهما^(٢).

٦ - قال السهمودي: كانوا يأخذون من تراب القبر، فأمرت عائشة فضرب عليهم، وكانت في الجدار كوة فكانوا يأخذون منها، فأمرت بالكوة فسدت^(٣).

٧ - ذكر السهمودي أن الناس كانوا يتبركون بالصلاة إلى القبر^(٤)، قال: عن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي قال كان الناس يصلون إلى القبر، فأمر به عمر بن عبد العزيز فرفع

(١) وفاء الوفا للسهمودي ٤: ١٤٠٥.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٧: ١٣٧، مختصر تاريخ دمشق ٤: ١١٨،

٢٦٥: ٥، تهذيب الكمال ٤: ٢٨٩، أسد الغابة ١: ٢٤٤، وفاء الوفا

للسهمودي ٤: ١٣٥٦، شفاء السقام: ٥٣، مشارق الأنوار ١: ١٢١.

(٣) وفاء الوفا ١: ٥٤٤.

(٤) يعني قبر النبي ﷺ.

حتى لا يصل إليه أحد^(١).

٨- كان ابن المنكدر - وهو أحد أعلام التابعين - يجلس مع أصحابه، قال: وكان يصيبه الصمات، فكان يقوم كما هو ويضع خده على قبر النبي ﷺ ثم يرجع، فعُتِبَ في ذلك فقال: إنه ليصيبني خطرة، فإذا وجدت ذلك استشفيت بقبر النبي ﷺ، وكان يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمرغ فيه ويضطجع، فقليل له في ذلك، فقال: إنني رأيت النبي ﷺ في هذا الموضع. يعني في النوم^(٢).

قال ابن قدامة الحنبلي في المغني: ويستحب الدفن في المقبرة التي يكثر فيها الصالحون والشهداء لتناله بركتهم، وكذلك في البقاع الشريفة.

هذه هي السنة التي دأب عليها الصحابة والتابعون في التبرك بقبر النبي ﷺ والاستشفاء بتربته، ولم يخالفهم فيها إلا ولاية بني أمية الظلمة من أمثال مروان بن الحكم طريد

(١) وفاء الوفا ٢: ٥٤٧.

(٢) وفاء الوفا ٢: ٤٤٤ عن أبي خيثمة زهير بن حرب قال: حدثنا مصعب بن عبدالله، حدثنا إسماعيل بن يعقوب التيمي.

رسول الله ﷺ الذي لعنه الله وهو في صلب أبيه، كما أخبرت بذلك عائشة وعبدالله بن الزبير^(١).

شبهة للعلاني

قال علي بن نفيع العلاني: وعلى هذا فإن أهل الجاهلية كحال أي إنسان، يرغبون في النماء والزيادة في أموالهم وأبدانهم وقبائلهم وأولادهم، وكل ما يحتاجونه في هذه الحياة الدنيا، وهذا النماء والزيادة الذي هو جوهر البركة إنما يطلبونه من أصنامهم لاعتقادهم أن هذه الأصنام يأتي من قبلها الخير الكثير وأنها مباركة، وحتى الذين ينسبون الفعل إلى الله عز وجل، فهم يعتقدون أن هذه الأصنام وما يسكنها من روحانيات لها تأثير في التأثير على الله... لكي يحقق لهم ما يريدون، وهذا معنى قولهم ﴿ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ولأجل ذلك كان التبرّك مظهرًا من مظاهر الوثنية في الجاهلية الأولى!^(٢)

(١) مجمع الزوائد ٥: ٢٤١، الاستيعاب ٣: ٤٢٥، ترجمة مروان بن الحكم، و ترجمة مروان بن الحكم من أسد الغابة ٥: ١٤٤، رقم ٤٨٤١، السنن الكبرى للنسائي ٦: ٤٨٥.

(٢) التبرّك المشروع: ٥٣.

إنّ هذا الكلام البعيد عن المنطق يريد أن يساوي بين نية وعمل المسلمين وما يقابلها عند المشركين، فهو يحتجّ بقوله تعالى في الآية التي أوردها، متناسياً أن سياق الآية يقول على لسان المشركين ﴿ما نعبدهم﴾، ولم يقل ما نتبرّك بهم، فأهل الجاهلية من المشركين كانوا يطلبون الأشياء التي ذكرها العلياني لاعتقادهم بأنّ هذه الآلهة تضرّ وتنفع بمعزل عن قدرة الله تعالى، فالجاهلي لم يكن يعتقد بالبعث والنشور والثواب والعقاب، لذا كان يتعبّد هذه الأصنام لاعتقاده بأنّها تستطيع أن تلحق به الضرر المادي في الدنيا كإهلاك ماشيته وزرعه أو إصابته بمرض عضال وغير ذلك، وفي نفس الوقت كان يعتقد قدرتها على منحه ما يحتاج إليه من خيرات، لذا كان يعبدها ويقدم لها القرابين، وأين عمل المشركين هذا من عمل المسلمين الموحدين الذين يعتقدون أن الخير كلّّه من عند الله سبحانه وتعالى. وأنّ بركاته تنزل بإذنه هو، مع إخباره في كتابه العزيز عن وجود مخلوقات له جعل فيها خصوصية وجعلها مباركة، ولأنّ سبّحانه يحب هذه المخلوقات المباركة، فقد أكرمها بأن جعلها سبباً لاستجابة دعاء المخلوقين بتوسلهم بها لكرامتها عند الله؟! ولعل خير ما يمثل عقيدة المسلمين في التبرّك هو

قول الخليفة العباسي المأمون للقاضي يحيى ابن أكرم:
 وإنّ الرجل ليأتيني بالقطعة من العود أو بالخشب أو
 بالشيء الذي لعل قيمته لا تكون إلّا درهماً أو نحوه، فيقول:
 إن هذا كان للنبي ﷺ، أو قد وضع يده عليه، أو بأسافله، أو
 ممسه، وما هو عندي بثقة ولا دليل على صدق الرجل، إلّا أني
 بفرط النية والمحبة أقبل ذلك فأشتريه بألف دينار وأقل
 وأكثر، ثم أضعه على وجهي وعيني وأتبرّك بالنظر إليه
 وبمسه، فأستشفي به عند المرض يصيبني أو يصيب من أهتم
 به، فأصونه كصياتي لنفسي، وإنّما هو عود لم يفعل هو شيئاً
 ولا فضيلة له تستوجب به المحبة إلّا ما ذكر من مسّ رسول
 الله ﷺ له (١).

فالمأمون يعلم أن هذا العود لا ينفع ولا يضرّ بذاته،
 ولكنه يقدّسه إكراماً للنبي ﷺ، وكذلك هي عقيدة
 المسلمين، فأين من ذلك عقيدة المشركين!

تبرّك الصحابة بأماكن صلّى فيها النبي ﷺ

وهذا أيضاً من الأمور التي خالفت فيها السلفية، ثمّ
 الوهابية جمهور المسلمين، فسيرة المسلمين على وجه
 العموم وعلى مرّ الأعصار هو التبرّك بكل مكان حلّ فيه

(١) تاريخ بغداد لابن طيفور: ٤٥.

رسول الله ﷺ واعتباره مكاناً مباركاً، وبخاصة الأماكن التي كان يكثر المكث فيها، كمجلسه من منبره، وغار حراء، ومسكنه وغير ذلك، باعتبارها أماكن قد اكتسبت ببركتها من جسم النبي الأقدس ﷺ، فكما كان الصحابة يتبرّكون بملامسة جسده الشريف، فإن المسلمين - ومنهم الصحابة الكرام - كانوا يتبرّكون بالأماكن التي لامسها جسده الشريف أيضاً.

ولا يخالف المسلمين في ذلك غير الفرقة الوهابية فيمنعون من التبرّك بتلك الأماكن المباركة، أو بالأماكن التي صلّى فيها رسول الله ﷺ ويحتجّون بأدلة واهية، كقول ناصر بن عبدالرحمن ابن محمد الجديع محتجّاً بدليلين، أحدهما: أنّه لا يوجد دليل من النصوص الشرعية يفيد جواز ذلك الفعل أو استحبابه. وثانيهما: أنّ الصحابة لم ينقل عن أحد منهم أنّه تبرّك بشيء من المواضع التي جلس فيها رسول الله ﷺ، أو البقع التي صلّى عليها عليه الصلاة والسلام اتفاقاً، مع أنّهم أحرص الأمة على التبرّك بالرسول ﷺ، ومع علمهم بتلك المواضع وشدة محبتهم للرسول ﷺ وتعظيمهم له، واتباعهم لسنّته^(١).

(١) التبرّك أنواعه وأحكامه: ٢٤٣ - ٢٤٤.

هذان الدليлан اللَّذان يسوقهما الجديع معتقداً بأنَّه قد فتح فتحاً في هذا الشأن، هما في الحقيقة أوهى من خيط العنكبوت، إذ إن عدم وجود دليل من النصوص الشرعية بجواز ذلك أو استحبابه، يقابله من الجهة الأخرى عدم وجود دليل من النصوص الشرعية بعدم جواز ذلك أو كراهته، والقاعدة أنَّه إذا لم يوجد دليل على التحريم، دل ذلك على الإباحة.

أما ادعاؤه بأنَّه لم ينقل عن أحد من الصحابة أنَّه تبرَّك بشيء من ذلك، فهو أسقط من حجته الأولى، فقد أخرج المحدثون ما ينقض هذا الإدعاء، وقد مرَّ مثله الشيء الكثير، وأيضاً:

فعن موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبدالله يتحرَّى أماكن من الطريق فيصلِّي فيها. ويحدِّث أنَّ أباه كان يصلي فيها، وأنَّه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأمكنة. وحدَّثني نافع عن ابن عمر أنَّه كان يصلي في تلك الأمكنة، وسألت سالمًا فلا أعلمه إلَّا وافق نافعاً في الأمكنة كلّها إلَّا أنَّهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء^(١). قال ابن حجر في شرحه

→

(١) صحيح البخاري ١: ١٣٠، كنز العمال ٦: ٢٤٧، الإصابة ٢: ٣٤٩، حرف

للحديث: عُرف من صنع ابن عمر استحباب تتبع آثار النبي ﷺ والتبرك بها^(١).

وقال ابن عبد البر: كان [ابن عمر] كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ... وكان يتقدم في المواقف بعرفة وغيرها الى المواضع التي كان النبي ﷺ وقف بها^(٢).

وقال ابن الأثير: إنَّ عبد الله بن عمر كان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ حتى أنَّه ينزل منازلَه ويصلي في كل مكان صلى فيه، وحتى أنَّ النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهدها بالماء لثلاثين^(٣).

وعن نافع: أنَّ عبد الله بن عمر كان ينيخ بالبطحاء التي بذى الحليفة التي كان رسول الله ﷺ ينيخ بها ويصلي بها^(٤).

→ العين ، القسم الأول ، ترجمة عبد الله بن عمر ، رقم ٤٨٣٤ ، البداية والنهاية ١٤٩:٥ .

(١) فتح الباري ١: ٤٦٩ ، وفي الصارم: ١٠٨ عن الإمام مالك أنه يستحب الصلاة في مواضع صلاة النبي ﷺ .

(٢) الاستيعاب ٢: ٣٤٢ بهامش الإصابة ، ترجمة عبد الله بن عمر .

(٣) أسد الغاية ٣: ٣٤٠ ، ترجمة عبد الله بن عمر ، رقم ٣٠٨٠ .

(٤) مسند أحمد ٢: ٢٦٩ ، ح ٥٩٦٨ ، صحيح البخاري ٣: ١٤٠ ، صحيح مسلم ١٩٨١:٢ .

وقال الواقدي: وعن أفلح بن حميد، عن أبيه قال: كان ابن عمر يخبر أن النبي ﷺ جلس تحت السمرة، وأن ابن عمر كان يصب الأدواء تحتها في أصل السمرة يريد بقاءها^(١). فلو كان عمل ابن عمر غير جائز، لأنكر عليه الصحابة ذلك ونهوه عنه.

وقال العلياني - في التبرّك الممنوع بالأمكنة والجمادات -:

... ولا يعكر على هذا ما رواه البخاري في صحيحه: أن عتبان ابن مالك - وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرًا من الأنصار - أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار، سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، وددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي، فأأخذ مصلي. قال: فقال له رسول الله ﷺ: «سأفعل إن شاء الله». قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له، فلم يجلس حين دخل البيت، ثم قال: «أين تحب أن أصلي من بيتك؟» قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت، فقام

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٩٦، باب حجة الوداع.

رسول الله ﷺ فكبر، فقمنا فصففنا، فصلّى ركعتين ثم سلّم^(١).

وذلك لأنّه ليس قصد عتبان أن يتبرّك بالموضع الذي صلّى فيه رسول الله ﷺ، وإنّما قصده أن يقرّه الرسول ﷺ على الصلاة جماعة في داره عند عدم استطاعته حضور الجماعة عندما يسيل الوادي، فأراد أن يفتح له رسول الله ﷺ مسجداً في منزله، ولأجل هذا بوّب البخاري في صحيحه بعنوان: باب المساجد في البيوت. وصلّى البراء بن عازب في مسجده في داره جماعة - وهذا من فقهه يرحمه الله - فالمقصود هو أن يسنّ له الرسول ﷺ الصلاة جماعة في منزله عند الحاجة. كما أن الصحابي الآخر البراء بن عازب فعل الجماعة في مسجده في داره ولم ينكر عليه، وهو في زمن التشريع. وقد يكون من مقصود عتبان اصابة عين القبلة، فإن الرسول ﷺ لا يقرّ على خطأ لو صلّى الى غير جهة القبلة^(٢).

(١) صحيح البخاري ١: ١١٥، ١٧٠، ١٧٥، صحيح مسلم ١: ٤٤٥، ٦١، ٦٢.

(٢) التبرّك المشروع: ٦٨ - ٦٩.

أقول: لا شك أن رغبة الصحابي عتبان في تأدية الصلاة جماعة في بيته هو أحد الأسباب لذلك، ولكن ليس كلّها، فإن رغبته في التبرّك بموضع صلاة الرسول ﷺ واضحة. وقد فهم النبي ﷺ رغبة عتبان هذه، لذا ابتدره بالسؤال عن المكان الذي يحبّ أن يصليّ له فيه من بيته، ولو أن الأمر كما يقول العلياني، لصلى النبي ﷺ في أي مكان من البيت يصلح لذلك.

ومن جهة ثانية، فإن ادّعاء العليان أن رغبة الصحابي عتبان في إصابة عين القبلة لا ينهض بحجّة، فإذا كان عتبان لا يبصر جيداً فقد كان في مقدور أهله أو غيره من الصحابة أن يدلّوه عليها، ولما احتاج الأمر لأن يصلي النبي ﷺ ركعتين في ذلك الموضع - ممّا يدل على أنها لم تكن فريضة - وكان يكفيه أن يشير إلى مكان القبلة ليستدل بها الصحابي عليها! ولا أظن أن العليان كان أقدر على الفهم من العلامة ابن حجر العسقلاني الذي قال في شرحه للحديث: وإنّما استأذن النبي ﷺ لأنه دُعي للصلاة ليتبرّك صاحب البيت بمكان صلاته، فسأله ليصليّ في البقعة التي يجب تخصيصها بذلك^(١)...

(١) فتح الباري ١: ٤٣٣.

وقال أيضاً: في حديث عتبان وسؤاله النبي ﷺ أن يصلي في بيته ليتخذ مصلياً وأجابه النبي ﷺ إلى ذلك: فهو حجة في التبرك بآثار الصالحين^(١).

وإذا كان طلب عتبان من النبي ﷺ الصلاة في بيته للأسباب التي أدهاها، فيما ذا نفّس طلب أم سليم وغيرها من الصحابة من النبي ﷺ الصلاة في بيوتهم، فيما أخرج المحدثون، وكما يأتي:

١- عن أنس بن مالك: أن أم سليم سألت رسول الله ﷺ أن يأتيها فيصلّي في بيتها فتتخذ مصلياً، فأتاها، فعمدت إلى حصير فنضحته بماء فصلّي عليه وصلّوا معه^(٢).

٢- وعنه أيضاً قال: صنع بعض عمومتي طعاماً فقال للنبي ﷺ: إني أحب أن تأكل في بيتي وتصلّي. قال: فأتاه وفي البيت فحل من هذه الفحول، فأمر بناحية منه فكنس ورش، فصلّي وصلينا معه^(٣).

(١) المصدر السابق ١: ٤٦٩.

(٢) سنن النسائي ١: ٢٦٨، كتاب المساجد، باب ٤٣ الصلاة على الحصير، ح ٨١٦.

(٣) سنن ابن ماجه ١: ٢٤٩، كتاب المساجد، باب المساجد في الدور، ح ٧٥٦، والفحل هو الحصير الذي قد أسود، مسند أحمد ٣: ١٣٠ بسندين، مسند أنس بن مالك، ح ١١٩٢٠.

٣- وعنه أيضاً، قال: كان رجل ضخم لا يستطيع أن يصلي مع رسول الله ﷺ فقال للنبي ﷺ: إنّي لا أستطيع أن أصلي معك، فلو أتيت منزلي فاقتدي بك. فصنع الرجل طعاماً ثم دعا النبي ﷺ، فنضح طرف حصير لهم فصلى النبي ﷺ ركعتين^(١).
فهل كان مقصود أم سليم أن تؤم المسلمين في بيتها مثل عتبان عندما طلبت من النبي ﷺ أن يصلي في بيتها، أم أنّها طلبته للتبرّك بالصلاة في الموضع الذي يصلي فيه رسول الله ﷺ؟

وهل كان عمومة أنس والرجل الآخر - الذي لم يذكر اسمه - عمياناً أيضاً فجاء النبي ﷺ ليحدد لهم القبلة! وإذا لم يكن قصد الرجل التبرّك بموضع صلاة النبي ﷺ، أفلم يكن في استئذانه النبي بعدم الحضور الى المسجد - لتعذر ذلك عليه - كافياً دون الحاجة الى الطلب منه ﷺ أن يحضر ليصلي في بيته.

التبرّك بالصحابة والصالحين

تبين ممّا سبق أن لا خلاف بين طوائف المسلمين في جواز التبرّك بالنبي ﷺ في حياته، وبآثاره بعد موته. وأن ما احتج به الشاذّون في ذلك مردود، يكذبه فعل الصحابة

(١) مسند الإمام أحمد ٥٨٦:٣، ح ١١٩٢٠، ط مؤسسة التاريخ العربي.

أنفسهم. إلّا أنّ الخلاف هل هو في جواز التبرّك بغير النبي ﷺ من الصحابة والتابعين والصالحين أم لا؟ لقد جوّز بعض علماء المسلمين ذلك، بينما منعه آخرون، ومن المانعين له: الشاطبي، حيث يقول: الصحابة رضي الله عنهم بعد موته عليه الصلاة والسلام، لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق، فهو كان خليفته، ولم يفعل به شيء من ذلك، ولا عمر، وهو كان أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان، ثم علي، ثم سائر الصحابة الذي لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أنّ متبرّكاً تبرّك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها، بل اقتصرُوا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ، فهو إذاً إجماع منهم على ترك تلك الأشياء^(١).

وقال أيضاً: لا يصح لمن بعده الاقتداء به في التبرّك على أحد تلك الوجوه ونحوها، ومن اقتدى به كان اقتداؤه بدعة^(٢)...

ومن المانعين أيضاً ابن رجب، إذ قال: وكذلك التبرّك

(١) الاعتصام ٨:٢.

(٢) الاعتصام ١٠:٢.

بالآثار، فإنّما كان يفعله الصحابة مع النبي ﷺ، ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم.. ولا يفعله التابعون مع الصحابة مع علوّ قدرهم، فدلّ على أن هذا لا يفعل إلّا مع النبي ﷺ، مثل التبرّك بوضوئه وفضلاته وشعره، وشرب فضل شرابه وطعامه^(١).

فأدلة المانعين تقوم على أساس أن الصحابة لم يتبرّكوا ببعضهم، ولا يتبرّك التابعون بهم، فدلّ تركهم ذلك على عدم جوازه.

إلّا أنّ الادّعاء بعدم تبرّك الصحابة ببعضهم، وكذلك بآل الرسول ﷺ غير صحيح، فهناك شواهد صحيحة على حدوث ذلك، وقد استند بعض كبار علماء المسلمين الى ذلك في تجويز التبرّك ليس بالصحابة والتابعين فحسب، بل بكل أهل الخير والصلاح.

ومن المجوزين القائلين بذلك، الإمام النووي الذي استند الى بعض الروايات الصحيحة في استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس واستسقاء بعض الصحابة ببعض من صالحهم، قال:

ويستسقى بالخيار من أقرباء رسول الله ﷺ، لأن عمر استسقى بالعباس وقال: اللهم إنّنا كنّا إذا قحطنا توسلنا إليك

(١) الحكم الجديدة بالاذاعة: ٥٥.

بنيّنا فتسقينّا، وإنا نتوسل بعمّ نيّنا فاسقنا فيسقون.
ويستسقيّ بأهل الصلاح لما رُوي أن معاوية استسقيّ
بيزيد ابن الأسود فقال: اللهم إنا نستسقيّ بخيرنا وأفضلنا،
اللهم إنا نستسقيّ بيزيد بن الأسود. يا يزيد ارفع يديك إلى الله
تعالى، فرفع يديه ورفع الناس أيديهم، فثارت سحابة من
المغرب كأَنها ترس، وهب لها ريح، فسقوا حتّى كاد الناس
أن لا يبلغوا منازلهم^(١).

ولقد استدلّ ابن حجر العسقلاني بحادثة استسقاء عمر
بالعباس على جواز التبرّك والاستشفاع ببعض الأخيار فقال:
ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل
الخير والصلاح وأهل بيت النبوة^(٢).

ومن أمثلة تبرّك الصحابة ببعضهم وتبرّك التابعين بهم:
١- روى عبد الله بن مسعود أن عمر بن الخطاب خرج
يستسقيّ بالعباس فقال: اللهم إنا نتقرب إليك بعمّ نيّك وقفية
آبائه وكبر رجاله، فإنّك قلت وقولك الحق: ﴿وَأما الجدار فكان
لغلامين يتيمين في المدينة... الآية﴾، فحفظتهما لصلاح

(١) المجموع شرح المذهب للإمام النووي ٦٨:٥ كتاب الصلاة، باب صلاة
الاستسقاء، وقال ابن حجر: أخرجه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه بسند
صحيح، ورواه أبو القاسم الكلالكائي في السّنة في كرامات الأولياء.

(٢) فتح الباري ٣٩٩:٢.

أبيهما، فاحفظ الله نبيك بعمه فقد دلونا به إليك مستشفعين
ومستغفرين... الحديث^(١).

وفي لفظ: وروينا من وجوه عن عمر أنه خرج يستسقي
وخرج معه العباس فقال: اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك ﷺ
ونستشفع به فاحفظ فيه لنبيك كما حفظت الغلامين لصلاح
أبيهما وأتيناك مستغفرين ومستشفعين.

ثم أقبل على الناس فقال: استغفروا ربكم أنه كان غفارا -
إلى أن قال - فنشأت طريرة من سحاب فقال الناس: ترون
ترون! ثم تلاءمت واستتمت ومشت فيها ريح ثم هزت
ودرت، فوالله ما برحوا حتى اعقلوا الجدر وقلصوا المآزر
وظفق الناس بالعباس يتمسحون أركانه ويقولون: هنيئاً لك
ساقى الحرمين.

وفي لفظ ابن الأثير: ولما سقى الناس طفقوا يتمسحون
بالعباس ويقولون: هنيئاً لك ساقى الحرمين، وكان الصحابة
يعرفون للعباس فضله ويقدمونه ويشاورونه^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ٢٧٤، شرح الخطبة ١١٤، باب
أخبار وأحاديث في الاستسقاء، اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية:
٣٣٨.

(٢) أسد الغاية ٣: ١٦٧، ترجمة عباس بن عبدالمطلب، رقم ٢٧٩٧.

٢ - الحسن البصري، حتَّكه عمر بيده، وكانت أمُّه تخدم أمَّ سلمة زوج النبي ﷺ فرُبما غابت فتعطيه أمَّ سلمة ثديها تعلله بها إلى أن تجيء أمُّه، فيدر عليه ثديها فيشربه، فكانوا يقولون فصاحته ببركة ذلك^(١).

٣ - قال السهمودي - عند ذكره لاسطوانة المحرس :
كان علي بن أبي طالب يجلس في صفحتها التي تلقي القبر ممَّا يلي باب رسول الله ﷺ وهو مقابل الخوخة التي كان النبي ﷺ يخرج منها إذا كان في بيت عائشة إلى الروضة للصلاة، وهي الاسطوانة الذي يصلي عندها أمير المدينة، يجعلها خلف ظهره، ولذا قال الأقبهري: إنَّ اسطوانة مصلى علي عليه السلام اليوم أشهر من أن تخفى على أهل الحرم، ويقصد الأمراء الجلوس والصلاة عندها إلى اليوم، وذكر أنه يقال لها: مجلس القادة، لشرف من كان يجلس فيه^(٢).

ونقل عن مسلم بن أبي مريم وغيره، أنه كان باب بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ في المربعة التي في القبر. قال سليمان: قال لي مسلم: لا تنس حظك من الصلاة إليها فإنَّها

(١) صفة الصفوة ٣: ٤٧.

(٢) وفاء الوفا ٢: ٤٤٨.

باب فاطمة رضي الله عنها الذي كان علي يدخل عليها منه^(١).
وفي حديثه عن اسطوان التهجد قال: كان رسول
الله ﷺ يخرج حصيراً كل ليلة إذا انكفت الناس فيطرح
وراء بيت علي ثم يصلي صلاة الليل...

وحدثني سعيد بن عبد الله بن فضيل قال: مرّ بي محمد بن
الحنفية وأنا أصلي إليها فقال لي: أراك تلزم هذه الاسطوانة،
هل جاءك فيه أثر؟ قلت: لا، قال: فالزمها فإنها كانت مصلى
رسول الله ﷺ من الليل...

قال ابن النجار: فعلى هذا جميع سواري مسجد
النبي ﷺ يستحب الصلاة عندها لأنه لا يخلو أن كبار
الصحابة صلّوا إليها^(٢).

٤ - لما خطب عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - على ما رُوي عن بعضهم -
قال: إني أحب أن يكون عندي عضو من أعضاء
رسول الله ﷺ^(٣).

(١) المصدر السابق ٢: ٤٥٠.

(٢) وفاء الوفا: ٤٥٢.

(٣) ذخائر العقبى: ١٦٩، الفصل الثامن في ذكر أم كلثوم بنت فاطمة
وعلي عليه السلام.

٥ - لما خرج الحسين بن علي من المدينة يريد مكة، مرّ بابن مطيع وهو يحفر بئر، فقال له:
 أين فداك أبي وأمي؟! قال: أردت مكة - وذكر أنه كتب إليه شيعة بالكوفة - ، فقال له ابن مطيع: فداك أبي وأمي، متعنا بنفسك ولا تسر إليهم. فأبى الحسين. فقال له ابن مطيع: إن بئري هذه قد رشحتها، وهذا اليوم أوان ما خرج إلينا في الدلو شيء من ماء، فلو دعوت الله لنا بالبركة. قال: هات من مائها، فأتى من مائها فشرب منه ثم مضمض ثم رده في البئر فاعذب وأمهى^(١).

٦ - لما بلغ الرضا - علي بن موسى عليه السلام - نيسابور، واجتمع الناس حول دابته، أخرج رأسه من المحمل وشاهده الناس، فهم بين صارخ وباكٍ وممزق ثوبه و متمرغ في التراب ومقبل لحافر بغلته أو مقبل حزام بغلته^(٢)...
 بل إنّ النبي صلى الله عليه وآله قد تبرّك بوضوء المسلمين، كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة:

(١) الطبقات الكبرى ١٠٧:٥.

(٢) الصواعق المحرقة: ٣١٠، الفصل الثالث في الأحاديث الواردة في بغض أهل البيت عليهم السلام، نور الأبصار للشبلنجي: ١٦٨، فصل في مناقب سيد علي الرضا بن موسى الكاظم.

فعن ابن عمر، قال: قلت يا رسول الله، أتوضأ من جرّ جديد مخمّر أحبّ إليك، أم من المطاهر؟ قال: «لا، بل من المطاهر، إن دين الله يسرّ الحنيفية السمحة». قال: وكان رسول الله ﷺ يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه، يرجو بركة أيدي المسلمين^(١).

هذه إذاً بعض الأخبار التي تثبت أن الصحابة والتابعين - من أهل القرون الثلاثة الأولى - كانوا يتبرّكون ببعضهم البعض، خلافاً لما يدّعيه البعض من أمثال الجديع، إذ بعدما يقول:

الحق أنّه لم يؤثر عن النبي ﷺ أنّه أمر بالتبرك بغيره من الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم، سواء بذواتهم أو بآثارهم، أو أرشد إلى شيء من ذلك، قال: وكذا فلم ينقل حصول هذا النوع من التبرّك من قبل الصحابة رضي الله عنهم بغيره ﷺ، لا في حياته ولا بعد مماته...^(٢).

وقال في تعليل ذلك: إن السبب الرئيسي في ترك الصحابة رضي الله عنهم ذلك التبرّك مع بعضهم - والله أعلم - هو اعتقاد اختصاص الرسول ﷺ به دون سواه ما عدا سائر الأنبياء...

(١) مجمع الزوائد ١: ٢١٤، وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثّقون، كنز العمال ٧: ١١٢، ح ١٨٢٣١.

(٢) التبرّك أنواعه وأحكامه: ٢٦١.

وقال نقلاً عن الشاطبي: فعلى هذا المأخذ، لا يصح لمن بعده الاقتداء به في التبرك على أحد تلك الوجوه ونحوها، ومن اقتدى به كان اقتداؤه بدعة، كما كان الاقتداء به في الزيادة على أربع نسوة بدعة^(١).

أقول: بعد أن أثبتنا تبرك الصحابة والتابعين ببعضهم وبالصالحين من الأمة، فإن عدم أمر النبي ﷺ بالتبرك بغيره، يقابله أيضاً عدم نهيه عن ذلك، فلو كان الأمر بهذه الدرجة من الخطورة على عقائد المسلمين لما أغفل النبي ﷺ هذا الأمر وكان نهى عنه بكل شدة. وذلك بين في قول النبي ﷺ عن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ قال: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم...»^(٢).

فهل يناقض النبي ﷺ - حاشاه - نفسه ويخفي هذا الأمر الذي فيه فساد الأمة دون أن يبينه لهم! أما إنه لا يجوز الاقتداء بغيره في التبرك قياساً على عدم جواز الزيادة على أربع نسوة فالقياس باطل - لما تقدم -

(١) المصدر السابق: ٢٦٤ نقلاً عن الاعتصام ٩: ٢.

(٢) صحيح مسلم ١٤٧٢: ٣ كتاب الامارة، باب وجوب الوفا ببيعة الخلفاء الأول فالأول.

فالنبي ﷺ قد أعلم أمّته الحكم الشرعي في ذلك، فليس هناك مسلم على وجه الأرض - منذ زمن النبي وإلى اليوم - إلا وهو يعلم حرمة ذلك لغيره ﷺ، وهذا أكبر دليل على صحة ما نقول، وتهافت استدلال الشاطبي، فلو كان التبرّك بغير النبي ﷺ محرّماً لبيّنه لأُمّته كما بيّن حرمة الزيادة في التزوج على أربع نسوة.

ومن الحجج الأخرى المتهافّة التي يحتجّ بها الجديع على عدم جواز التبرّك بغير النبي ﷺ إدعاؤه بأن ذلك لسد ذريعة الشرك، لأن جواز التبرّك بآثار الصالحين يفضي إلى الغلو فيهم وعبادتهم من دون الله، فوجب المنع من ذلك.. وهكذا تبين لنا عدم جواز قياس الصالحين على النبي ﷺ. وعليه فلا يجوز التبرّك بذوات الصالحين أو بآثارهم فضلاً عن غيرهم، وإن تعظيم الشيء والتبرّك به لا يجوز إلا بدليل شرعي (١).

أقول: أثبتنا أنه لا ينبغي أن يترك النبي ﷺ أمّته دون أن ينبههم إلى خطورة هذا الأمر، لأنه بذلك يكون قد قصّر في أداء رسالته وترك أمّته تتردئ في مهاوي الضلال، وتكون الأمة - على مرّ الأزمنة السابقة - قد وقعت في الشرك، وهو أمر لا يجوز عقلاً ولا شرعاً، وكيف يستقيم ذلك مع قوله ﷺ: «تركتمكم على الواضحة»!

(١) التبرّك أنواعه وأحكامه: ٢٦٨.

التبرّك بقبور الصالحين وآثارهم

لم يقتصر عمل المسلمين على التبرّك بقبر النبي ﷺ وآثاره من بعد موته، بل كان ديدنهم هو التبرّك بقبور الصحابة والتابعين وصلحاء الأئمة وآثارهم، والاستشفاء والاستسقاء بها أيضاً، ومن ذلك:

١- بلال الحبشي:

مؤذن رسول الله ﷺ، قبره بدمشق، وفي رأس القبر المبارك تاريخ باسمه ﷺ، والدعاء في هذا الموضع المبارك مستجاب، وقد جرّب ذلك كثير من الأولياء وأهل الخير المتبركين بزيارتهم^(١).

٢- أبو أيوب الأنصاري:

قال الحاكم: يتعاهدون قبره ويزورونه ويستسقون به إذا قحطوا^(٢).

٣- صهيب الرومي:

قال السمهودي: إنهم جربوا تراب قبر صهيب للحمى.

(١) رحلة ابن جبير: ٢٥١.

(٢) المستدرک ٥١٨:٣، وابن الجوزي في صفة الصفوة ١: ٤٠٧.

٤ - حمزة بن عبدالمطلب:

نقل السمهودي قول الزركشي: ثم استثنى من عدم جواز حمل تراب المدينة الى غيرها - لكونها حرماً - تربة حمزة عليه السلام، لا طباق الناس على نقلها للتداوي.

ثم قال: حكى البرهان بن فرحون عن الإمام العالم أبي محمد عبدالسلام بن إبراهيم بن مصال الحاحاني قال: نقلت من كتاب الشيخ العالم أبي محمد صالح الهرمزي قال: قال صالح بن عبدالحليم: سمعت عبدالسلام بن يزيد الصنهاجي يقول: سألت ابن بكون عن تراب المقابر الذي كان الناس يحملونه للتبرُّك، هل يجوز أو يمنع؟ فقال: هو جائز، وما زال الناس يتبرَّكون بقبور العلماء والشهداء والصالحين، وكان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة بن عبدالمطلب في القديم من الزمان^(١).

٥ - الحسين بن علي عليه السلام:

عقد الشبراوي باباً كبيراً في مشهد رأس الحسين بن علي عليه السلام، وذكر فيه زيارته وشطراً من الكرامات له وإحياء يوم الثلاثاء بزيارته، قال:

والبركات في هذا المشهد مشاهدة مرئية، والنفحات العائدة على زائريه غير خفية، وهي بصحة الدعوى ملية

(١) وفاء الوفا ١: ٦٩.

والأعمال بالنية، ولأبي الخطاب بن دحية في ذلك جزء لطيف مؤلف، واستفتي القاضي زكي الدين عبدالعظيم في ذلك، فقال: هذا مكان شريف وبركته ظاهرة والاعتقاد فيه خير، والسلام.

وما أجدر هذا المشهد الشريف والضريح الأنور المنيف بقول القائل:

نفسى الفداء لمشهد أسرارهِ
من دونها ستر النبوة مسبلُ
ورواق عزّ فيه أشرف بقعة
ظلت تحار لها العقول وتذهلُ
تفضي لجبهته النواظر هيبة
ويرد عنه طرفه المتأمل
حسدت مكانته النجوم فودّ لو
أمسى يجاوره السماك الأعزل
وسما علوّاً أن تقبّل تربهُ
شفّة فأضحى بالجباه يقبّل
٥ - عمر بن عبدالعزيز، الخليفة الأموي - المتوفّى سنة ١٠١هـ -:

قال الذهبي: قبره بدير سمعان يُزار^(١).

(١) تذكرة الحفاظ ١: ١٢١.

٦- عليّ بن موسى الرضا عليه السلام:

قال أبو بكر محمد بن المؤمل: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الشقفي، مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافدون إلى زيارة علي بن موسى الرضا بطوس. قال: فرأيت من تعظيمه - يعني ابن خزيمة - لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تحيرنا^(١).

كما وأخرج الخطيب البغدادي بإسناده عن أحمد بن جعفر ابن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال شيخ الحنابلة في عصره يقول: ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما أحب!^(٢)

٧- قال العلامة أحمد بن محمد المقرئ المالكي - المتوفى سنة ١٠٤١ هـ - في فتح المتعال بصفة النعال، نقلاً عن ولي الدين العراقي، قال: أخبر الحافظ أبو سعيد بن العلا، قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن

(١) تهذيب التهذيب ٧: ٣٣٩.

(٢) تاريخ بغداد ١: ١٢٠.

ناصر^(١). وغيره من الحفاظ: أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل
قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره، فقال:
لا بأس بذلك!

قال: فأرينا التقي ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك
ويقول: عجبت من أحمد عندي جليل! هذا كلامه أو معني
كلامه. وقال: وأي عجب في ذلك وقد رويناه عن الإمام أحمد
أنه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به^(٢).

وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فما بالك بمقادير
الصحابة! وكيف بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما
أحسن قول مجنون ليلي:

أمرُّ على الديار ديار ليلني

أُقبِّل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي

ولكن حب من سكن الديار^(٣)

(١) هو الحافظ محمد بن ناصر أبو الفضل البغدادي - المتوفى سنة ٥٠٥ هـ -
قال: ابن الجوزي في المنتظم ١٨: ١٠٣ رقم ٤٢٠١: كان حافظاً متقناً ثقة
لا مغمز فيه.

(٢) مناقب أحمد لابن الجوزي: ٦٠٩، البداية والنهاية لابن كثير ١٠: ٣٦٥
حوادث سنة ٢٤١ هـ.

(٣) فتح المتعال: ٣٢٩.

قال القاضي عياض المالكي في الشفا: وجدير بمواطن
عمّرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبرئيل وميكائيل ،
وعرجت منها الملائكة والروح، وضجّت عرصاتها
بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر،
وانتشر عنها من دين الله وسنة نبيّه ما انتشر، مدارس وآيات
ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد
البراهين والمعجزات ، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين،
ومواقف سيد المرسلين ومتبوعاً خاتم النبيين، حيث انفجرت
النبوة، واين فاض عبابها، ومواطن مهبط الرسالة، وأول
أرض مسّ جلد المصطفى ترابها، أن تعظم عرصاتها وتنسم
نفحاتها وتقبّل ربوعها وجدرانها^(١)...

فهذه هي سيرة المسلمين خلفاً عن سلف، وهذه مواقف
شيخ الحنابلة الذي يدّعي ابن تيمية وأتباعه أنهم تلاميذه في
التبرّك بآثار الصالحين والأولياء، وليس لهم من حجة
يحتجون بها، سوى أن ذلك التبرّك ربّما يقود الى الشرك
وتأليه الشخص المتبرّك به !

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٢: ١٣١.

التمسح بالمتبرك به

أود أخيراً أن اختتم هذا البحث بالإشارة الى موضوع يثير حوله البعض إشكالات يستهدفون بها تضليل المسلمين وحرفهم عن جادة الصواب بإثارة الشكوك في أنفسهم بغية التمكن من التلاعب بعقائدهم وسوقهم الى مقالاتهم التي ظاهرها براءة وباطنها جوفاء لا تقنع إنساناً له مسكة من عقل، ألا وهو موضوع المسح والتمسح بالأشخاص والأشياء المتبرك بهم.

قال العلياني - بعد أن ساق الكلام في فضل بعض الأمكنة: فمن سكن في مكة أو المدينة أو الشام ملتماً لبركات الله عز وجل في تلك البقاع سواء من زيادة أرزاقها أو دفع الفتن عنها، فقد وفق الى خير كثير، أما لو تعدى العبد في طلب التبرك كأن يتمسح بترابها وأحجارها وأشجارها، وكأن يضع تربتها في الماء للاستشفاء بها ونحو ذلك فإنه مأزور غير مأجور، لأنه سلك في التبرك مسلكاً لم يفعله رسول الله ﷺ ولم يفعله الرعيل الأول^(١)...

وقال: وقد كان السلف الصالح ينهون عن تعظيمهم غاية النهي، كأئس والثوري وأحمد، وكان أحمد يقول: من أنا

(١) التبرك المشروع: ٤٢.

حتى تجيئون إلَيَّ! اذهبوا اكتبوا الحديث. وكان إذا سئل عن شيء يقول: سلوا العلماء! وإذا سئل عن شيء من الورع يقول: أنا لا يحل لي أن أتكلّم في الورع، لو كان بشر حياً تكلم في هذا.

وسئل مرّة عن الاخلاص فقال: اذهب الى الزهّاد، أي شيء نحن حتى تجيء إلينا؟

وجاء إليه رجل فمسح يده على ثيابه ومسح بهما وجهه، فغضب الإمام أحمد وأنكر ذلك أشد الإنكار، وقال: عمّن أخذتم هذا الأمر^(١).

وهنا، أولاً: إن العلياني يفهم الأمور على غير وجهها، لأنّ عمل أولئك الأئمة وإنكارهم تبرّك الناس بهم، لم يكن من باب إنكار التبرّك نفسه، بل كان من باب التواضع - الذي هو دأب العلماء والصالحين - والإمام أحمد لم يتّهم الشخص الذي تبرّك به - كما يفعل الذين يدّعون أنّهم يأتّمون بهذا الإمام في تكفير المسلمين واتّهامهم بالشرك - لأن هؤلاء العلماء كانوا يعلمون جيداً بأن ذلك ليس من الشرك والضلال، بدليل أنّهم هم أنفسهم كانوا يتبرّكون بغيرهم من العلماء والأئمة الصالحين، بل وحتى التبرّك بقبورهم. كما مرّ بنا في المبحث السابق وفيهم أئمة أهل الحديث.

(١) التبرّك المشروع: ٨٦.

ولا ندري بأي دليل يحتاج هؤلاء الجهّال على عدم مشروعية التمسح بالمتبرّك به؟ فليس لديهم من حديث ولا أثر يركن إليه ليثبت صحة دعواهم الفارغة، بينما تدلّ كل الآثار على خطئ آرائهم.

لقد مرّ بنا فيما سبق أن الصحابة كانوا يمسكون رمانة منبر النبي ﷺ بميامنهم ثم يدعون، وأن ابن عمر الصحابي كان يمسح بيده على مكان جلوس النبي ﷺ من المنبر ثم يمسح بها وجهه، ومرّ بنا أيضاً أن النبي ﷺ كان يمسح على رؤوس أو أجسام الأشخاص ويدعو لهم، مما يدل على خصوصية في المسح، لأن دعاء النبي ﷺ يكفي للإجابة، والروايات التي جاءت تتضمن هذا المعنى كثيرة جداً، نكتفي بالإشارة هنا إلى بعضها من أجل بيان وجه ذلك العمل وأهميته، وأعني المسح.

فعن عائشة: أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس، اذهب البأس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً...»^(١).

(١) صحيح البخاري ١٧٢:٧.

وعنها أيضاً: أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفي سقيمنا، بإذن ربِّنا»^(١). وقال السهمودي: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح، قال باصبعه هكذا، ووضع سبابتَه بالأرض ثم رفعها وقال: «بسم الله، تربة أرضنا بريق بعضنا يشفي سقيمنا بإذن الله»^(٢).

عن أبي حازم، أنه قال: أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم الخيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، قال فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقال: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فارسلوا إليه، فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية...»^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) وفاء الوفا ١: ٦٩.

(٣) مسند أحمد ٥: ٣٣٣، صحيح البخاري ٤: ٣٠ و ٢٠٧، مجمع الزوائد

إن هذا يوضح بعض الأمور، منها: أن النبي ﷺ لم يكن يكتفي بالدعاء بل كان يمسح على العضو المريض أيضاً إذا كان للاستشفاء ويمسح على الرأس إذا كان للبركة، فلا بد إذاً من خصوصية للمسح.

ومنها أيضاً: إننا وجدنا في الروايات المتقدمة أن النبي ﷺ كان يدعو للاستشفاء بالتربة، وفي الأخبار هذه ما يدل أيضاً على أمره بخلط التربة بالريق أيضاً لكي تتحقق البركة والشفاء بإذن الله، مما يدل على خصوصية معينة لتربة المدينة المنورة في جعلها سبباً للشفاء بإذن الله لما فيها من البركة التي اختصها الله بها، والآثار النبوية في ذلك كثيرة نذكر منها قوله ﷺ:

١ - «غبار المدينة شفاء من الجذام»^(١).

٢ - «غبار المدينة يبرئ الجذام».

٣ - «غبار المدينة يطفئ الجذام».

٤ - «إن في غبارها شفاء من كل داء».

→ ١٥٠:٦، باب غزوة خيبر، كتاب السنة لأبي عاصم: ٥٩٤، السنن الكبرى للنسائي ٤٦:٥ و ١٠٨، كتاب المناقب، فضائل علي بن أبي طالب، مسند أبي يعلى ٢٩١:١، المعجم الكبير للطبراني ١٥٢:٦. (١) كنز العمال ٢٠٥:١٣، وفاء الوفا ٦٧:١.

٥ - «والذي نفسي بيده إن تربتها لمؤمنة وإنّها شفاء من الجذام»^(١).

أفلا يدلّ ذلك على خصوصية أودعها الله تعالى في بعض الأماكن حتى صارت تربتها وغبارها شفاء من الأسقام المستعصية بإذن الله، وإذا كان خلط هذه التربة بالرقيق والاستشفاء بها من أمر النبي ﷺ، فكيف لا يجوز التبرّك بهذه التربة الشريفة إذاً، وما هي خصوصية الحجر الأسود، وبعض أركان الكعبة، حتى يتهافت المسلمون بالملايين على لمسها اقتداء بالنبي الكريم ﷺ، أو لا يكفي زيارة البيت دون لمس شيء منه إن كان ادعاء هؤلاء صحيحاً؟! أوليس معنى كل هذا أن لبعض الأماكن قدسية خاصة أودعها الله فيها، وأن البركة في تربتها وغبارها، فلم لا يجوز التمسّح بها وتقبيلها طلباً للبركة إذاً؟!!

فيتبيّن من كل ذلك أن التبرّك أمر قد أقرّه الشارع العظيم، وعمل به الأنبياء ﷺ ومنهم نبيّنا عليه وعلى آله الصلاة والسلام، ولم يأتنا أثر يثبت أن الله سبحانه وتعالى أو نبيّه ﷺ قد نهيا عن شيء من ذلك قط، فالمسلمون إذاً ظلّت سيرتهم منذ عهد النبي ﷺ على التبرّك به حياً، وبآثاره ميتاً،

(١) كنز العمال ٢٠٥:١٣، وفاء الوفا ١:٦٧.

وتبرّك الصحابة بعضهم ببعض ، وصلّوا في الأماكن التي صلّى فيها النبي ﷺ طلباً لبركتها، وظلّ ذلك دأب المسلمين جيلاً بعد جيل، يتلقون فيوضات البركات الإلهية دون أن يخامر عقائدهم شرك ولا ضلال، ودون أن يعمد أحدهم إلى تأليه شخص أو شيء متبرّك به، بل ظلّوا على مرّ القرون موحدين لله سبحانه وتعالى، معتقدين بأنه وحده القادر على كل شيء، وعلى إنزال البركات، وأنّ تبرّكهم بمخلوقاته ليس إلّا من باب الحب لله والحب لمن يحبّهم ويحبّونه ، ولا شيء غير ذلك ممّا يدّعيه الجهال.

التبرّك عند أهل البيت عليه السلام

بعد أن أثبتنا في المباحث المتقدمة، مشروعية التبرّك عند جميع طوائف المسلمين، وإقرار النبي ﷺ له ، وأبطلنا حجج القائلين بأن التبرّك مختصّ بالنبي ﷺ ، منتفٍ عن غيره من هذه الأمة، وأثبتنا أن دأب الصحابة والتابعين الأخيار كان الاستمرار على هذا النهج في التبرّك بآثار النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام وحتى بالصالحين من هذه الأمة. لا بد أن نورد بعض الأخبار حول التبرّك عند أهل بيت النبوة عليه السلام وحثّهم عليه وترغيبهم فيه:

تبركهم بقبر النبي ﷺ

١ - لما حانت وفاة الإمام الحسن بن علي عليه السلام، أوصى إلى أخيه الحسين عليه السلام، فكان ممّا أوصاه به، أنّه قال: فإذا قضيت نحبي فغمّضني وغسلني وكفني وأدخلني على سريري إلى قبر جدّي رسول الله ﷺ لأجدّه به عهداً، ثم ردّني إلى قبر جدّتي فاطمة [بنت أسد] رضي الله عنها فادفني هناك^(١).

٢ - عن محمد بن مسعود، قال: رأيت أبا عبد الله [الصادق] عليه السلام انتهى إلى قبر النبي ﷺ، فوضع يده عليه^(٢).

٣ - عن ابن فضال، قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام وهو يريد أن يودع للخروج إلى العمرة، فأتى القبر من موضع رأس رسول الله ﷺ، بعد المغرب، فسلم على النبي ﷺ، ولزق بالقبر^(٣).

٤ - لما عزم الإمام الحسين عليه السلام الخروج من مكة - بعد موت معاوية - خرج من منزله ذات ليلة وأقبل إلى قبر جدّه ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة فرحك وابن فرختك، ثم جعل يبكي عند القبر، حتى إذا

(١) بحار الأنوار ٤٤: ١٥٦.

(٢) بحار الأنوار ١٠٠: ١٥٤.

(٣) المصدر السابق: ١٥٧.

كان قريباً من الصبح، وضع رأسه على القبر فأغفى^(١)...
 ٥- عن الرضا عليه السلام، قال: لما أردت الخروج من المدينة
 إلى خراسان، جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتى
 أسمع بكاءهم، ثم فرقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت
 لهم: إني لا أرجع إلى عيالي أبداً، ثم أخذت أبا جعفر فأدخلته
 المسجد ووضعت يده على حافة القبر وألصقته به، واستحفظته
 برسول الله ﷺ^(٢).

تَبَرُّكُهُمْ بِأَثَارِ بَعْضِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١- عن سليمان بن خالد ومحمد بن مسلم قالوا: مضينا إلى
 الحيرة فاستأذنا ودخلنا إلى أبي عبد الله عليه السلام فجلسنا إليه وسألنا
 عن أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا خرجتم فجزيتم الثوية والقائم
 وصرتم من النجف على غلوة أو غلوتين، رأيتم ذكوات بيضاً بينها
 قبر قد جرفه السيل، ذاك قبر أمير المؤمنين عليه السلام. قال: فغدونا من
 غد فجزنا الثوية والقائم، وإذا ذكوات بيض فجزناها، فإذا
 القبر كما وصف قد جرفه السيل، فنزلنا فسلمنا وصلينا عنده
 ثم انصرفنا، فلما كان من الغد غدونا إلى أبي عبد الله عليه السلام
 فوصفنا له فقال: أصبتم، أصاب الله بكم الرشاد^(٣).

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٨، الفتوح لابن أعثم ٥: ٢٦.

(٢) الأنوار البهية: ١١٠.

(٣) بحار الأنوار ١٠٠: ٢٣٧.

٢- عن أبان بن تغلب قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام، فمرّ بظهر قبر فنزل فصلّي ركعتين، ثم تقدم قليلاً فصلّي ركعتين، ثم سار قليلاً فنزل فصلّي ركعتين، ثم قال: هذا موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام، قلت: جعلت فداك، فما الموضعين اللذين صلّيت فيهما؟ قال: موضع رأس الحسين عليه السلام، وموضع منبر القائم (١).

٣- كان أهل البيت عليهم السلام يتبركون بحجر في بيت فاطمة عليها السلام، وعن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: أنّه ولدت فاطمة عليها السلام الحسن والحسين على ذلك الحجر، أو كانت فاطمة تصلّي إليها (٢).

التبرّك والاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام

١- عن أبي اليسع، قال: سألت رجل أبا عبد الله عليه السلام وأنا أسمع عن الغسل إذا أتى قبر الحسين عليه السلام، قال: أجعله قبله إذا صلّيت؟ قال: تنع هكذا ناحية. قال: آخذ من طين قبره ويكون عندي أطلب بركته؟ قال: نعم، أو قال: لا بأس بذلك (٣).

٢- عن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يأخذ

(١) بحار الأنوار ١٠٠: ٢٤١.

(٢) وفاء الوفا للسهمودي ١: ٥٧٢.

(٣) بحار الأنوار ٨٣: ٣٢٠.

الإنسان من طين قبر الحسين عليه السلام فينتفع به ويأخذه غيره فلا ينتفع به، فقال: لا والله، لا يأخذه أحد وهو يرى أن الله ينفعه به إلا نفعه به ^(١).

٣- عن الصادق عليه السلام: إن الله جعل تربة الحسين عليه السلام شفاءً من كل داء، وأماناً من كل خوف، فإذا أخذها أحدكم فليقبلها وليضعها على عينه وليمرّها على جسده ^(٢).

٤- عن اليقطيني، قال: بعث إليّ أبو الحسن الرضا عليه السلام رزم ثياب وغلماناً - إلى أن قال -، فلما أردت أن اعتبئ الثياب رأيت في أضعاف الثياب طيناً، فقلت للرسول ما هذا؟ فقال: ليس توجّه بمتاع إلا جعل فيه طيناً من قبر الحسين عليه السلام، ثم قال الرسول ﷺ: قال أبو الحسن عليه السلام: هو أمان بإذن الله ^(٣).

٥- سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام، قال: آخذ من طين قبر الحسين يكون أطلب بركة؟ قال: لا بأس بذلك ^(٤).

٦- إن الصادق عليه السلام مرض فأمر من عنده أن يستأجروا له أجيراً يدعو عند قبر الحسين عليه السلام، فوجدوا رجلاً فقالوا له ذلك، فقال: أنا أمضي، ولكن الحسين إمام مفترض الطاعة، وهو إمام مفترض الطاعة! فرجعوا إلى الصادق عليه السلام وأخبروه،

(١) بحار الأنوار ١٠١: ١١٩، الوسائل ١٠: ٤٠٩.

(٢ و ٣) المصدر السابق.

(٤) الوسائل ١٠: ٤١٥، البحار ١٠١: ١٢٥.

فقال: هو كما قال، ولكن ما عرف أن الله بقاعاً يستجاب فيها الدعاء، فتلك البقعة من تلك البقاع^(١).

٧- عن أبي الحسن عليه السلام، قال: ما على أحدكم إذا دفن الميت ووسَّده بالتراب، أن يضع مقابل وجهه لينة من طين الحسين عليه السلام ولا يضعها تحت رأسه^(٢).

٨- كان لأبي عبد الله [الصادق] عليه السلام خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله [الحسين] عليه السلام، فكان إذا حضرت الصلاة صبَّه على سجادة وسجد عليه، ثم قال: السجود على تربة الحسين عليه السلام يخرق الحجب السبع^(٣).

٩- عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، قال: إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، كانت سبحتها من خيط صوف مقلَّ معقود عليه عدد التكبيرات، وكانت عليه السلام تديرها بيدها، تكبَّر وتسبَّح، حتى قتل حمزة بن عبدالمطلب، فاستعملت تربته وعملت التسابيح، فاستعملها الناس، فلما قتل الحسين صلوات الله عليه، عُدل بالأمر إليه، فاستعملوا تربته لما فيه من الفضل والمزية^(٤).

(١) الوسائل ٤٢١:١٠ - ٤٢٢.

(٢) بحار الأنوار ١٠١:١٣٦.

(٣) بحار الأنوار ١٠١:١٣٥.

(٤) بحار الأنوار ١٠١:١٣٣.

١٠ - سئل أبا عبدالله عليه السلام عن استعمال الترتين من طين قبر حمزة وقبر الحسين عليه السلام، والتفاضل بينهما، فقال عليه السلام: السبحة التي هي من طين قبر الحسين عليه السلام تسبّح بيد الرجل من غير أن يسبّح^(١).

١١ - عن الصادق عليه السلام: من أدار الحجير من تربة الحسين عليه السلام فاستغفر مرة واحدة كتب الله له سبعين مرة، وإن مسك السبحة ولم يسبّح بها، ففي كل حبة منها سبع مرات^(٢).

١٢ - عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد عليه السلام يقولان: إن الله عوض الحسين عليه السلام من قتله أن الإمامة في ذريته والشفاء في تربته وإجابة الدعاء عند قبره^(٣).

١٣ - عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه أخبره بقتل الحسين عليه السلام إلى أن قال: ألا وإن الإجابة تحت قبّته، والشفاء في تربته، والأئمة من ولده^(٤).

١٤ - عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي رجل كثير العلل والأمراض وما تركت دواء إلاّ تداويت

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ١٠١:١٣٦.

(٣) الوسائل ١٠:٣٢٩.

(٤) الوسائل ١٠:٣٥٢، كفاية الأثر للخزاز: ٢٩٠.

به، فقال لي: أين أنت عن طين قبر الحسين بن علي عليه السلام، فإن فيه شفاء من كل داء، وأمناً من كل خوف، فإذا أخذته فقل هذا الكلام (اللهم إني أسألك بحق هذه الطينة، وبحق الملك الذي أخذها، وبحق النبي الذي قبضها، وبحق الوصي الذي حلَّ فيها، صلِّ على محمّد وآل محمّد وأهل بيته، وافعل بي كذا وكذا)^(١).

١٥ - عن محمّد بن مسلم: أنه كان مريضاً، فبعث إليه أبو عبدالله عليه السلام بشراب فشربه، فكأنما نشط من عقال، فدخل عليه فقال: كيف وجدت الشراب؟ فقال: لقد كنت آيساً من نفسي فشربته فأقبلت إليك فكأنما نشطت من عقال. فقال: يا محمد، إن الشراب الذي شربته كان فيه من طين قبور آبائي، وهو أفضل ما نستشفى به فلا تعدل به، فإننا نسقيه صبياننا ونساءنا فنرى منه كل خير^(٢).

١٦ - عن الصادق عليه السلام: حنكوا أولادكم بتربة الحسين فإنها أمان^(٣).

١٧ - عن الصادق عليه السلام: في طين قبر الحسين عليه السلام الشفاء من كل داء، وهو الدواء الأكبر^(٤).

(١) بحار الأنوار ١٠١: ١١٨.

(٢) بحار الأنوار ١٠١: ١١٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) بحار الأنوار ١٠١: ١١٨.

- ١٨ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أصابه علّة فبدأ بطين قبر الحسين عليه السلام شفاه الله من تلك العلّة، إلّا أن تكون علّة السام^(١).
- ١٩ - عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ، قال: كل طين حرام كالميتة والدم وما أهلّ لغير الله به، ما خلا طين قبر الحسين عليه السلام ، فإنّ فيه شفاء من كل داء^(٢).
- ٢٠ - عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال: أكل الطين حرام على بني آدم، ما خلا طين قبر الحسين عليه السلام ، من أكله من وجع شفاه الله^(٣).
- ٢١ - عن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام ، قال: طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من كل داء، وأمان من كل خوف، وهو لما أخذ له^(٤).

التبرّك بكسوة الكعبة

- ١ - عن عتبة بن عبد الله، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام ، عمّا يصل إلينا من ثياب الكعبة، هل يصلح لنا أن نلبس منها شيئاً؟ قال: يصلح للصبيان والمصاحف والمخدّة، يبتغي بذلك البركة إن شاء الله تعالى^(٥).

(١) بحار الأنوار ١٠١: ١١٨.

(٢) المصدر السابق ١٠١: ١٢٠، الوسائل ١٠: ٤١٥، أمالي الشيخ: ٢٠٢.

(٣) المصدر السابق ١٠١: ١٣٠.

(٤) بحار الأنوار ١٠١: ١٣٢.

(٥) الكافي ، الفروع ١: ٢٢٨، التهذيب ١: ٥٧٥، من لا يحضره الفقيه ١: ٩١.

٢ - عن مروان بن عبد الملك، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن رجل اشترى من كسوة الكعبة شيئاً فاقتضى ببعضه حاجته، وبقي بعضه في يده، هل يصلح بيعه؟ قال: يبيع ما أراد، ويهب ما لم يرد، ويستنفع به ويطلب بركته..^(١)

التبرّك بسور المؤمن وفضل وضوئه

١ - عن محمد بن اسماعيل رفعه، قال: من شرب سور المؤمن تبركاً به، خلق الله بينهما ملكاً يستغفر لهما حتى تقوم الساعة^(٢).

٢ - عن عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: في سور المؤمن شفاء من سبعين داء^(٣).

٣ - عن علي عليه السلام - في حديث الأربعمئة -، قال: سور المؤمن شفاء^(٤).

٤ - الشرب من فضل وضوء المؤمن فيه شفاء من سبعين داء أدناها الهم^(٥).

→ الوسائل ٣٥٩:٩ باب حكم الانتفاع بكسوة الكعبة.

(١) الوسائل ٣٦٠:٩.

(٢) الوسائل ٢٠٨:١٧ ح ٢، ثواب الأعمال: ٨٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الوسائل ٢٠٨:١٧، الخصال ١٥٧:٢.

(٥) كنز العمال ١٨٦:٩.

التبرّك بشرب ماء السماء

١ - عن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: اشتكى رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: سل من امرأتك درهماً من صداقتها فاشتر به عسلاً فاشربه بماء السماء، ففعل ما أمر به فبرأ، فسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك: أشيء سمعته من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: لا، ولكني سمعت الله يقول في كتابه: (فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) وقال: (وأنزلنا من السماء ماءً مباركاً) فاجتمع الهنيء والمريء والبركة والشفاء، فرجوت بذلك البر ^(١)

٢ - عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وأنزلنا من السماء ماءً مباركاً﴾، قال: «ليس من ماء في الأرض إلّا وقد خالطه ماء السماء» ^(٢).

٣ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: اشربوا ماء السماء فإنّه يطهّر البدن ويدفع الأسقام. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾ ^(٣).

(١) تفسير العياشي ١: ٢١٨.

(٢) الوسائل ١٧: ٢١٠، مكارم الأخلاق: ٤٤٦.

(٣) الوسائل ١٧: ٢١٠ - ٢١١، فروع الكافي ٦: ٣٨٧، المحاسن: ٥٧٤.

والآية في سورة الأنفال: ١١.

التبرّك بماء الفرات

١ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما أخال أحداً يحنّك بماء الفرات إلّا أحبّنا أهل البيت...^(١).

٢ - عن علي بن الحسين يرفعه، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كم بينكم وبين الفرات؟ فأخبرته، فقال: لو كان عندنا لأحببت أن آتية طرفي النهار^(٢).

٣ - عن سعيد بن جبير، قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام، يقول: إن ملكاً من السماء يهبط في كل ليلة معه ثلاثة مئاقيل مسكاً من مسك الجنة فيطرحها في الفرات، وما من نهر في شرق الأرض ولا غربها أعظم بركة منه^(٣).

التبرّك بالتراب

١ - عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه كان يترّب الكتاب وقال: لا بأس به^(٤).

٢ - عن علي بن عطية أنه رأى كتباً لأبي الحسن عليه السلام متربة^(٥).

(١) الوسائل ١٧: ٢١١.

(٢) المصدر السابق: ١٧: ٢١٢، الفروع: ٦: ٣٨٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الوسائل ٨: ٩٧، باب استحباب ترتيب الكتاب.

(٥) الوسائل ٨: ٩٧، باب استحباب ترتيب الكتاب.

٣- عن الرضا عليه السلام ، قال: كان أبو الحسن يتربُّب الكتاب^(١).
 ٤- عن الرضا عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال:
 باكروا بالحوائج فإنها ميسرة، وأتربوا الكتاب فإنه أنجح للحاجة،
 واطلبوا الخير عند حسان الوجوه^(٢).
 ووردت في كتب الحديث عند أهل السنة أخبار بذلك،
 منها:

- ١- إذا كتب أحدكم فليترِّبهُ فإنه أنجح للحاجة^(٣).
- ٢- ترِّبوا صحفكم أنجح لها فإن التراب مبارك^(٤).
- ٣- إن النبي صلى الله عليه وآله بعث إلى أهل قريتين بكتابين
 يدعوهم إلى الإسلام، فترَّب أحد الكتابين ولم يترب الآخر،
 فأسلم أهل القرية التي ترَّب كتابهم^(٥).
- ٤- إذا كتب أحدكم فليترَّب كتابه فهو أنجح^(٦).

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) جامع الترمذي ٦٦:٥، كنز العمال ٢٨٩:٦.

(٤) سنن ابن ماجه ٢:١٢٤٠، باب ترتيب الكتاب، ح ٣٧٧٤، كنز العمال

٥١٧:٦، ح ١٦٧٩٩.

(٥) الإصاية ٢:٣٠٤، حرف العين، القسم الأول، ترجمة عبدالله بن ربيع

النميري، رقم ٤٦٦٩.

(٦) كنز العمال ١٠:٢٤٥.

٥ - إذا كتب أحدكم كتاباً فليترّبه فإن التراب مبارك وهو أنجح للحاجة^(١).

٦ - إذا كتبت كتاباً فترّبه فإنه أنجح للحاجة والتراب مبارك^(٢).

٧ - ترّبوا الكتاب وسجّوه من أسفله فإنه أنجح للحاجة^(٣).

٨ - ترّبوا الكتاب فإنه أعظم للبركة وأنجح للحاجة^(٤).

٩ - ترّبوا الكتاب فإنه أنجح للحاجة^(٥).

هذا وقد وردت الأخبار واستفاضت عن التبرّك بالقرآن، وبشهر رمضان، وبالسحور، وبتراب المدينة وتمرها، وبماء زمزم، وبجبل أحد وغيرها كثير، ممّا يدل على أهمية موضوع التبرّك، لذا نجد المسلمين على اختلاف مشاربهم يبادرون الى التبرّك بكل ما عرفوا فيه البركة يبتغون بذلك التقرب من الله سبحانه وتعالى وطاعة لأمر النبي ﷺ، ولا يخطر على قلب أحدهم بأنه يفعل ذلك تقرباً من الشخص أو الشيء

(١) كنز العمال ٢٤٥:١٠ ح ٢٩٣٠٦.

(٢) المصدر السابق ح ٢٩٣٠٧.

(٣) المصدر السابق ح ٢٩٣٠٩.

(٤) المصدر السابق ٢٤٦:١٠ ح ٢٩٣١٠.

(٥) كنز العمال ٢٤٦:١٠ ح ٢٩٣١٠.

المتبرِّك به، أو أنه يعتبر عمله هذا عبادة لهذا الشخص أو الشيء المتبرِّك به، بل الجميع متصافقون على أن التبرِّك هو من الأعمال التي يُبتَغى بها وجه الله تعالى ولا شيء سواه، وعلى هذا جرت سنة المسلمين منذ عهد النبي ﷺ، وإلى يومنا هذا، ولم يخالف جمهور المسلمين إلا بعض الشذاذ الذين لا يفقهون كتاب الله، فيتناولون المتشابه منه، ويحرِّفون الكلم عن مواضعه ليضلُّوا المسلمين متهمين إياهم بالشرك والبدعة، إلا أن المسلمين يعلمون جيداً خبث هذه الأساليب وهدفها المنحرف، لذا انبرى جهابذة العلماء من كلا الفريقين (السنة والشيعة) للردِّ على بدع هذه الشرذمة الضالة، وأبطلوا حججهم بالأدلة الدامغة، وردوا كيدهم إلى نحورهم، وكان في طليعة من تصدَّى لأذنان السلفية، هو الشيخ سليمان بن عبد الوهاب - وهو الأخ الشقيق لمحمد بن عبد الوهاب حامل لواء هذه البدعة - فردَّ عليه بكتاب (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية)، ثم تلاه غيره من العلماء الغيارى على مصلحة الإسلام في الرد على هذه الفئة ودحض حججها.

آراء بعض العلماء في التبرّك

نود أن نختم بحثنا هذا بعرض آراء بعض علماء الإمامية ممّن تناولوا هذا الموضوع لنبيّن آراءهم في ذلك، فمنهم:

١ - الشيخ جعفر بن الشيخ خضر الجناحي النجفي (١١٥٦ -

١٢٢٨ هـ):

قال: إنّ التواضع والتبرّك والإكرام والاحترام لما هو معظّم عند الله من تعظيم الله، كما أن احترام قرآنه وبيته، ومساجده لانتسابها إليه، احترام له تبارك وتعالى. فمن عظم عيسى ومريم وعزير لعبوديتهم وقرب منزلتهم، فهو معظّم لله، كما أن من عظم بيت السلطان عبيده وغلّمانه وأتباعه من حيث التبعية، يكون معظّماً للسلطان.

وأما من وجدها قابلة للتعظيم، وأهلاً له من حيث ذاتها لأجل العبودية والتابعية، وإن كان غرضه التقريب زلفى، إنّما يكون معظّماً لها.

وإنّي منذ ثلاثين حجة أنظر في أصول طوائف المسلمين، محقّقيهم ومبطلّيههم، فلم أجد أحداً يعظّم كتاباً، أو نبياً، أو مكاناً، أو عبداً صالحاً من غير قصد قربة من الله، أو انتسابه إليه، فقد ظهر أن هذا كله من باب طاعة الله وتعظيمه. وأما عبدة الأصنام والعباد الصالحين، فإنّما أرادوا عبادتهم حق العبادّة، كانوا يصلّون لهم ويصومون، ويكون

ذلك لاستحقاقهم بربوبيتهم في أنفسهم، أو الى التقريب زلفى، فهي عبادة حقيقية على الوجهين^(١)...

٢ - السيد محسن الأمين العاملي:

قال: لو كان احترام قبور الأنبياء والصلحاء عبادة لها وشركاً، لكان تعظيم الكعبة والطواف بها والحجر الأسود وتقيله، والحجر والمقام والمساجد والمشاعر والأبوين وإطاعتهما، وخفض جناح الذلّ لهما، وخفض الأصوات عند رسول الله ﷺ وخفضه جناحه لمن اتبعه من المؤمنين، وسجود الملائكة لآدم، وسجود إخوة يوسف وأبويه له، وتعظيم الجنود لأمرائهم، والصحابة للنبي ﷺ وللخلفاء، والأنبياء لأبائهم وأمهاتهم وقيامهم وخضوعهم لهم، والوهابية للسلطان ابن سعود، وغير ذلك كله عبادة لغير الله وشركاً، ولم يسلم في الشرك نبيّ فمن دونه، لا يقال للتعظيم الذي نص الشرع عليه وأمر به لا كلام لنا فيه، وإنما الكلام فيما لم ينص الشرع عليه، لأننا نقول: إذا فرض أن كل تعظيم عبادة وكل عبادة لغير الله شرك، يكون الله تعالى قد أمر بالشرك ورضيه وأحبّه وذلك باطل^(٢)...

(١) منهج الرشاد: ١٥٢، الفصل الثالث، في التبرك بالقبور ونحوها.

(٢) كشف الارتياح: ٤٣١.

٣ - الشيخ محمد جواد البلاغي:

قال: إعلم أنَّ من ضروريات الدين، والمتفق عليه بين جميع طبقات المسلمين، بل من أعظم أركان أصول الدين: اختصاص العبادة بالله رب العالمين. فلا يستحقها غيره، ولا يجوز إيقاعها لغيره، ومن عبد غيره فهو كافر مشرك، سواء عبد الأصنام، أو عبد أشرف الملائكة أو أفضل الأنام. وهذا لا يرتاب فيه أحد ممَّن عرف دين الإسلام. وكيف يرتاب، وهو يقرأ في كل يوم عشر مرات: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)^(١).

وبعد أن يورد مجموعة من الآيات في نفس المعنى يقول:

لكن العبادة - كما هو المفسَّر في لسان المفسرين وأهل العربية وعلماء الإسلام -: غاية الخضوع، كالسجود والركوع ووضع الخد على التراب والرماد تواضعاً، وأشباه ذلك، كما يفعل عبادة الأصنام لأصنامهم. وأما زيارة القبور والتمسح بها وتقبيلها والتبرُّك بها، فليس من ذلك في شيء كما هو واضح، بل ليس فيها شيء من الخضوع، فضلاً عن كونها غاية الخضوع. مع أن مطلق

(١) الفاتحة: ٥.

الخشوع ليس بعبادة، وإلا لكان جميع الناس مشركين حتى الوهابيين! فإنهم يخضعون للرؤساء والأمراء والكبراء بعض الخشوع، ويخضع الأبناء للآباء، والخدم للمخدومين، والعبيد للموالي، وكل طبقة من طبقات الناس للتي فوقها، فيخضعون إليهم بعض الخشوع، يتواضعون لهم بعض التواضع^(١).

٤- العلامة الأميني في (التبرك بالقبر الشريف):

قال: لم نجد في المقام قولاً بالحرمة لأحد من أعلام المذاهب الأربعة ممن لهم وآرائهم قيمة في المجتمع، وإنما القائل بالنهي عنه من أولئك يراه تنزيهاً لا تحريماً، ويقول بالكراهة مستنداً إلى زعم أن الدنو من القبر الشريف يخالف حسن الأدب، ويحسب أن البعد منه أليق به، وليس من شأن الفقيه التآبه أن يفتي في دين الله بمثل هذه الاعتبارات التي لا تبنى على أساس، وتختلف باختلاف الأنظار والآراء. نعم، هناك أناس شذت من شرعة الحق، وحكموا بالحرمة، قولاً بلا دليل، وتحكماً بلا برهان، ورأياً بلا بيّنة، وهم معروفون في الملأ بالشذوذ، ولا يعاب بهم ولا بآرائهم^(٢).

(١) الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية: ٤٧-٥٦.

(٢) الغدير ٥: ١٤٦، باب التبرك بالقبر الشريف.

الفهرس

٧	كلمة المجمع العالمي لأهل البيت <small>عليه السلام</small>
١١	«التبرّك» بالصالحين والأخيار والمشاهد المقدّسة
١٢	معاني البركة
١٤	البركة في القرآن الكريم
١٨	التبرّك في التاريخ
١٩	١ - التبرّك عند الأمم السالفة
٢١	٢ - سيرة المسلمين في التبرّك
٣٣	التبرّك بالشرب من قدحه <small>صلّى الله عليه وآله وسلّم</small>
٤٠	التبرّك بمنبره <small>صلّى الله عليه وآله وسلّم</small>
٤١	تبرّكهم بقبره الشريف <small>صلّى الله عليه وآله وسلّم</small>
٤٧	شبهة للعلاني
٤٨	تبرّك الصحابة بأماكن صلّى فيها النبي <small>صلّى الله عليه وآله وسلّم</small>
٥٦	التبرّك بالصحابة والصالحين
٦٧	التبرّك بقبور الصالحين وآثارهم
٧٣	التمسّح بالمتبرّك به
٧٩	التبرّك عند أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٨٠	تبرّكهم بقبر النبي <small>صلّى الله عليه وآله وسلّم</small>

- ٨١ تبرّكهم بآثار بعضهم عليه السلام
- ٨٢ التبرّك والاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام
- ٨٧ التبرّك بكسوة الكعبة
- ٨٨ التبرّك بسور المؤمن وفضل وضوئه
- ٨٩ التبرّك بشرب ماء السماء
- ٩٠ التبرّك بماء الفرات
- ٩٠ التبرّك بالتراب
- ٩٤ آراء بعض العلماء في التبرّك
- ٩٩ الفهرس